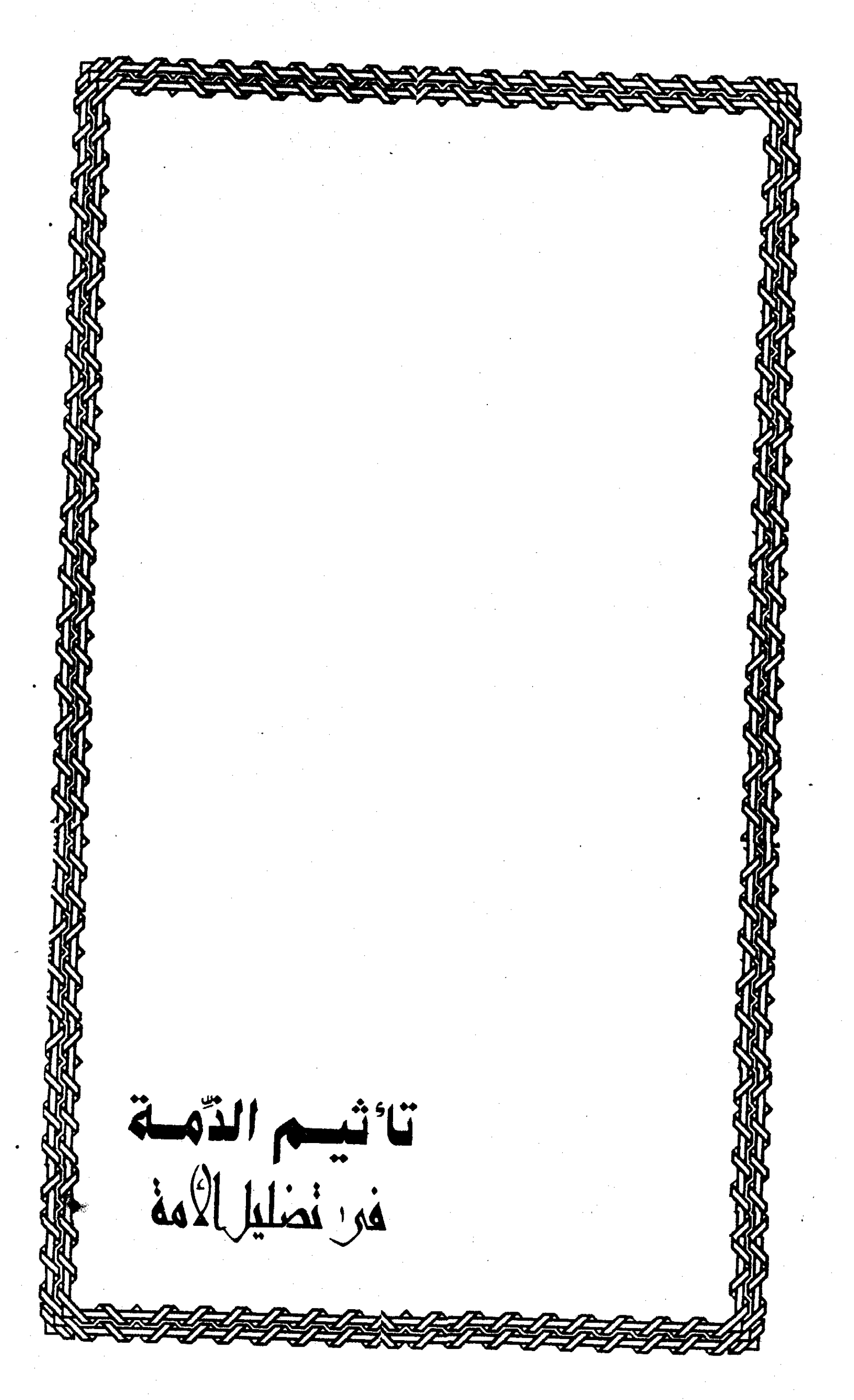
محمد عبد الله السمان

تأثيم الذمة
في تضليل الأمة

رد على كتاب البرهانية
« تبرئة الذمة في نصح الأمة »

الطبعة الثانية
١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م



تأثيم الذمة
في تضليل الأمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ (٨) ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ (٩) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ (١٠) ﴾

صدق الله العظيم

عالم جليل القدر

فضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف مفتى الديار المصرية الأسبق - رحمه الله .. كنت على صلة وثيقة به .

فى أوائل السبعينات صدر عن المجلس الإسلامى الأعلى للشئون الإسلامية بوزارة الأوقاف المصرية « كتاب بعنوان : « حكم الإسلام فى التوسل بالأنبياء والأولياء والصالحين » بقلم فضيلة الشيخ محمد حسنين مخلوف وهو والد فضيلة المفتى ، والتبس الأمر على القارئ فظن أن المؤلف هو فضيلة المفتى وليس أباه .

وكان فى مقدور المفتى أن يزيل هذا اللبس لو أنه كتب مقدمة عن والده المؤلف ، ولكن يبدو أن فضيلته - رأى فى ذلك بعض الحرج ، فلم يفعل ذلك .

اشتريت الكتاب وتركته دون أن أقرأه ، لكن رسالة كريمة وصلتنى من تاجر مسلم من تجار جدة بالسعودية ، هو الشيخ محمد سعيد العمودى ، وفيها رجاء ملح أن أقوم بالرد ويوزع على القراء بالمجان . هذه الرسالة جلعتنى أبادر بقراءة الكتاب والرد عليه فى إيجاز .. وقد كان .

وكانت هناك مفاجأة :

لقد التبس علىّ الأمر .. فظننت أن مؤلف الكتاب هو المفتى وليس والده .. فجاء عنوان كتابى فى الرد عليه : « ليس حكم الإسلام يا فضيلة المفتى » وانتبهت ، ولكن بعد فوات الأوان .

ولم أحاول أن ألتقى بالشيخ بعد ذلك ، برغم اعتقاى أنه مقدر تماما أن الخلاف فى الرأى لا يفسد للود قضية .. ولكن شاء الله أن يجمعنى عقد قران إحدى كريمات صديق عمرى الأستاذ حسن عاشور « دار الاعتصام » وعندما جلست على استحياء إلى جانب الشيخ وقبلت يده وربت على كتفى .. وقال لى فى هدوء : « بارك الله فيك ، لقد سرنى ردك على كتاب الشيخ البرهانى ، ودعوت الله لك بالتوفيق .

وحسبى هذه العبارات من شيخ جليل ، لم أنسها ولن أنساها ما حييت !

رحم الله شيخنا فضيلة الشيخ جسنين محمد مخلوف ، كان عالما رجلا ، وما أقلّ فى عصرنا العلماء الرجال ! .

مقدمة الطبعة الثانية

منذ زهاء ثلاثين سنة ، ظهرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب ونفذت فى أسابيع معدودة ، لأن نصف كمية ما طبع منه . ذهب إلى السودان ، مركز هذه النحلة الضالة ، المسماه بـ« الطريقة البرهانية الشاذلية » ومسقط رأس مؤسسها محمد عثمان البرهانى المغرق فى الجهل والجهالة والأمية .

ومنذ انتهاء الطبعة الأولى من الكتاب وحتى اليوم لم تنقطع الرسائل البريدية والهاتفية تسألنى عن الكتاب .. وكم دهشت حين جائتنى رسائل من طالبات مسلمات بكلية الأداب جامعة الإسكندرية ، تستعجلنى طبع الكتاب ، لأن هذه النحلة « الطريقة البرهانية » قد تسللت إلى طالبات الكلية ، بعد أن راج كتاب « تبرئة الذمة فى نصح الأمة » واستفحل خطره وشره .

هذا الكتاب الضخم الضال كان يباع بجنيه ، أى ما يعادل أقل من ربع تكاليف طباعته ، ومعنى هذا أن هناك تمويلا مشبوها لنشر مثل هذه الأفكار الهدامة التى تستهدف العقيدة الإسلامية الصحيحة .. كان مخرج لبعض البرامج الدينية بالتليفزيون يروج لهذا الكتاب ، وهو الذى قدمه لى ، وقد ساعده عمله على جذب بعض ضيوف برنامجه إلى مذهبه البرهانى الآثم .

وما أن أنتهيت من قراءة الكتاب الآثم حتى أصبت بالذهول يصيب وجدانى ، إلى درجة أننى لبثت ساعات متوتو الأعصاب ، أتساءل فى أسى مرير :

- كيف تم طبع مثل هذا الكتاب الآثم فى القاهرة بلد الأزهر ؟

- وكيف سمح بنشره دون اعتراض من مباحث أمن الدولة ، أو معارضة من هيئة الاستعلامات فى مصر ؟

- ولماذا لم يتصد الأزهر لهذا الكتاب الآثم ؟ هل لأن المؤلف صديق لشيخ الأزهر يومئذ .. رحمه الله ؟ وهلى وقع الكتاب فى يد مجمع البحوث الإسلامية ، لكن تغاضى عنه من قبيل المجاملة لشيخ الأزهر ؟ وهل يسمح الإسلام بمجاملة إنسان - كائنا من كان هذا الإنسان جاهاً ومنصباً وضجيجا على حساب الإسلام ، بل على حساب عقيدة التوحيد التى هى أساس الدين وركيزته ؟

صحيح أن الأنظمة الشمولية فى العالم الثالث ، لا تبالى المساس بالدين عن طريق الأفكار الزائغة ، ما دامت هذه الأفكار الزائغة لا تحوم حول حمى النظام القائم من قريب أو بعيد ، وقديماً قال معاوية بن أبى سفيان :

« نحن لا نحول بين الناس وبين ألسنتهم ، مالم يحولوا بيننا وبين سلطاننا » !!

فهل كان الأزهر على وعى تام بمقولة ابن أبى سفيان ؟!

إن قضية النيل من الإسلام تعتبر القضية بل المهمة الأساسية لمجمع البحوث الإسلامية ، إلا أن هذا المجمع فى السنوات الآخيرة أصبح مصابا البركود ، لم يعد يحس به أحد ، بعد أن فقد هو نفسه الإحساس بمجربات الأحداث فى العالم الإسلامى .

هذه الخواطر تعتبر على هامش القضية التى نحن بصددها ـ قضية التشوية البشع الزرى للوجه المشرق للعقيدة الإسلامية ـ عن طريق شيخ طريقة صوفية مخبول .. هذه الطريقة المشبوهة لم تعترف بها مشيخة الطرق الصوفية بالقاهرة ، وعلى الرغم من ذلك ، لا تزال قائمة على قدم وساق بالقاهرة ، تزاول نشاطها وتخرج لسانها للأزهر ومشيخة الطرق الصوفية بالقاهرة ، وما هو أدهى وأمر .. أن الطريقة البرهانية الضالة تسللت إلى الجامعات المصرية ، واعتنقها العديد من الطلبة والطالبات .

وهذه هى الفاجعة .

ولسنا فى حاجة إلى أن نؤكد :

أن الطرق الصوفية ذاتها . ابتداع فى الدين ، تزداد انتشارا ورواجا فى البيئات المغرقة فى الأمية الدينية ، وكثيرا ما تكون هذه الطرق مصادر ارتزاق لبعض مشايخها .

وهذا القول ليس على إطلاقه .. هناك علماء أزهريون منخرطون فى هذه الطرق ، بل إن الدكتور أحمد عمر هاشم مدير جامعة الأزهر عضو فى مشيخة الطرق الصوفية المجاور مبناها مبنى الأزهر .

ولا غرابة فى أن يكون مدير جامعة الأزهر عضوا فى المجلس الأعلى

الصوفى ، فإن شيخ الأزهر الدكتور محمد سيد طنطاوى قطع مئات الأميال لكى يحضر حفل تتويج نقيب الأشراف بسيناء .

أى أشراف يافضيلة شيخ الأزهر ، وأنت تعلم أن الإسلام كان من أوليات رسالته - بعد العقيدة - إعلان المساواة بين البشر ، والقضاء على الطبقية الجاهلية ، وعدم الاعتراف بأية امتيازات لأحد .

آجل : لقد أقر الإسلام المساواة بين الناس من حيث الاعتراف بأدميتهم أولاً وحقوقهم ثانياً : « فكلكم لآدم وآدم من تراب » .

وفى صحيح مسلم عن عمرو بن العاص - رضى الله عنه - قال :

« سمعت رسول الله - ﷺ جهارا غير سر ، يقول :

« ألا إن آل بنى .. يعنى فلانا - ليسوا لى بأولياء .. إنما وليى الله وصالح المؤمنين » .

وإلى هؤلاء الذين يتمسحون بالانتساب إلى آل البيت . نسوق هذا الحديث النبوى الذى رواه مسلم فى صحيحه عن ابى هريرة - رضى الله عنه - قال :

« لما أنزلت هذه الآية :﴿ وأنذر عشيرتك الآقربين ﴾دعا رسول الله - ﷺ قريشاً ، فَعَمَّ وخَصْ .. فقال !

* يا بنى كعب بن لؤى : أنقذوا أنفسكم من النار ...
* يا بنى مرة بن كعب : أنقذوا أنفسكم من النار ...
* يا بنى عبد شمس : أنقذوا أنفسكم من النار ...
* يا بنى عبد مناف : أنقذوا أنفسكم من النار ...
* يا بنى هاشم : أنقذوا أنفسكم من النار ...
* يا بنى عبد المطلب : أنقذوا أنفسكم من النار ...
* يا فاطمة : أنقذى نفسك من النار ...

فإني لا أملك لكم من الله شيئاً .. غير أن لكم رحما سأبلها ببَلالها »

سأبلها ببلالها ! سأصلها بصلتها .

أقول :

إن آل البيت ـ رضى الله عنهم ـ على العين والرأس ، ولكننا نرفض أن يستغل أحد آل البيت فى الدجل والارتزاق ، بدلا من أن نعتبرهم قدوة لنا وأسوة :

ونعود من حيث بدأنا ، ونقول :

إن المكتبات مكتظة بالكتب التى تتضمن الوانا من الزيغ الصوفى ، وإزالة هذا الزيغ الجدير بالإزالة أمر شاق للغاية ، إذن ـ فالحل ، هو الإكثار من الكتب التى تتضمن فكرا إسلامياً صحيحاً ، أملا فى القضاء على الفكر الصوفى الزائغ ـ أو على الأقل ، أن نحد من شراهته ، حفاظا على عقيدة الإسلام الحق الذى رضيه الله لعباده دينا . . وهذه المهمة : يجب أن يضطلع بها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ، الذى حل محل « هيئة كبار العلماء إثر صدور قانون تطوير الأزهر فى عام ١٩٦١م ، لأن الواضح من العنوان : أن المهمة علمية فكرية ، وبخاصة أن أعضاء المجمع من مصر وغيرها ، وليس كما كان الشأن بالنسبة لهيئة كبار العلماء .

وبدأ المجمع بداية طيبة ، ولكن سرعان ما تسلسل الركود إليه ، وانحسرت الأضواء عنه ، وعندما تربع على كرسى المشيخة شيخ صوفى ، وعين صهره أمينا عاما للمجمع الذى سبق أن رفض قبوله عضوا . . تحول مجمع البحوث الإسلامية إلى شبه فرع لمشيخة الطرق الصوفية . ونجح المجمع فى مصادرة كتاب الشيخ الجليل الشيخ عبد الجليل عيسى « اجتهاد الرسول » لأنه لا يتفق مع مزاج أهل التصوف .

وظهر كتاب البرهانى ، اسماً على غير مسمى : « تبرئة الذمة فى نصح الأمة » وفى مثل هذا الجو ، لم يتصد المجمع له ، برغم أنه يضم بين دفتيه ما يسيئ إلى عقيدة الإسلام أكبر إساءة .

ومما يبعث على الأسى المرير .

هو أنه على الرغم من أن الطريق المستقيم واضح جلى لكل ذى عينين ، وهو صراط الله العزيز الحميد ، وأن سواه من السبل هى سبل الشيطان ، من سلكها كان من الغاوين الضالين .

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِه

ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (سورة الأنعام- ١٥٣)

إلا أن البعض ممن عميت بصائرهم قد حادوا عن الصراط المستقيم - صراط الله العزيز الحميد ، ومالوا إلى السبل التى على رأس كل منها شيطان ، وصموا آذانهم عن كلمة الحق ، وصغت قلوبهم إلى صوت الباطل ، ولو حاولت هدايتهم إلى الحق لأعرضوا ، لأن الجهل قد تمكن منهم ، ولأن الهوى قد استحوذ عليهم .

وبقيت كلمة لابد منها :

إن هناك قرارا يلزم المطابع بإرسال عدد من النسخ إلى وزارة الداخلية وإلى دار الكتب المصرية ، فلماذا لا يشمل القرار مجمع البحوث الإسلامية ويرسل إليه ولو نسختين من كل كتاب للاطلاع وإبداء الرأى ؟

وعلى مجمع البحوث أن يختار من يراجع الكتاب ويحسن الاختيار ، ولو من خارج أعضاء المجمع أو موظفيه .

إن القضية ليست ثانوية ، ولا يمكن أن تكون ثانوية ، لأنها تمس أثمن شيئ فى حياتنا وديننا .

وكم كنا نتمنى أن يسهم مجمع البحوث الإسلامية فى توعية الجماهير فيصدر نشرة شهرية لتقييم ما صدر من الكتب غثها وسمينها ، بفكر حيادى ، وضمير حى .

نتمنى : وليس كل ما يتمنى المرء يدركه !

محمد عبد الله السمان

القاهرة - بريد العتبة ص.ب : ١٦٢١

ت : ٥٦٨٣٥٦٤ محمول : ٠١٠/٥١١٨٠٨٦

مقدمة
الطبعة الأولى

منذ سنوات معدودة صدر هذا الكتاب « تبرئة الذمة فى نصح الأمة » لشيخ الطريقة البرهانية السودانى الأصل المدعو محمد عثمان عبده البرهانى الشاذلى ، وأى قارئ ساذج تقع عيناه على هذا الكتاب الضخم لابد أن ينجذب إليه ، وينخدع له ، ويدفع جنيها مصريا عن رضى وطيب خاطر فى سبيل اقتنائه ، لأن هذا القارئ الساذج قد يتوقع شيئا ذا بال من عنوان الكتاب الجذاب ، بل إن القارئ نصف المثقف قد يجذبه العنوان أيضاً فيقتنيه متوقعا أن فى الكتاب الضخم شيئا ذا بال كذلك ..

لكن النتيجة لابد أن تختلف لدى كل من القارئين : الساذج ونصف المثقف ، فالساذج قد يهضم ما بين دفتى الكتاب من خرافات ودجل وشعوذة وجرأة على الإسلام ، ويتقبل كل هذه بقبول حسن ، أما القارئ نصف المثقف فقد يصاب بخيبة أمل ، ويأسف لتسرعه فى اقتناء الكتاب التافه من حيث لا يجدى به الأسف شيئا .. ولا يسعه إزاء أسفه إلا أن يتساءل فى مرارة :

« كيف يسمح بنشر هذا الكتاب فى أى بلد إسلامى كان ، وكيف قدر له أن يروج فى مصر - دولة العلم والإيمان - على أيدى أتباع الطريقة المنتشرين كالوباء فى القصور والأوكار على السواء ؟ وما موقف الأزهر الشريف » من هذا الكتاب الملوث بالأفكار الدخيلة على الإسلام ؟

أما عن السماح بطبع الكتاب ونشره فى أى بلد إسلامى كان .. فالأمر أيسر مما يتوقعه كل مسلم .. لأن أى نظام حاكم فى أية دولة مسلمة يهمه ألا يمس نظامه من قريب أو بعيد ، وبقليل أو كثير .. ولا يعنيه بعد ذلك أن يطعن الإسلام من ظهره أو وجهه أو قلبه .. أجل لا يعنيه أن يتطاول عليه الأعداء أو الأدعياء .

وأما رواج الكتاب فى مصر - دولة العلم والإيمان - فيبدو أننا نحمل الألفاظ من المعانى والمدلولات أكثر مما تطيق ، لأننا لا نفرق بين الشعار والواقع ، فما أكثر ما يحتج المتحمسون للإسلام مثلا بأن دين الدولة هو

الإسلام كما نص على ذلك الدستور ، لأنهم أيضاً لا يفرقون بين الشعار والواقع ، ولا يكادون يدركون أن من نصوص دساتير الدول المسلمة الوضعية نصوصا أملتها التقاليد والأعراف ، ومنها ما وضع من باب ملء الفراغ لا أكثر ، وهذه النصوص أو تلك أريد لها أن تكون مجمدة غير قابلة لأن تدب فيها الحياة ، واليوم الذى تتحول فيه هذه النصوص المجمدة إلى كائن حى ، ستنقلب الحياة رأسا على عقب .

وأما عن موقف الأزهر « الشريف » من هذا الكتاب الملوث بالأفكار الدخيلة على الإسلام ، فهو كسائر مواقفه من أى كتاب ملوث بالأفكار الدخيلة على الإسلام ، وإذا كان على رأس الأزهر من يؤمن إيمانا مطلقا بجامع الكتاب ، وبكل ما تضمنه الكتاب من سفه وهذيان .. وإذا كان من علماء الأزهر من يسهم بمؤلفات محشوة بالدجل والشعوذة والغثيان والهذر والخرافة .. وإذا كان معظم المكتبات الخاصة المجاورة للأزهر تصدر للعالم الإسلامى فى آسيا وأفريقيا ألوف الكتب الغثة التى تشوه وجه الإسلام المشرق ، ويحس الأزهر ولكنه يتجاهل أن يحس ، لأنه يجد راحة واسترخاء فى السلبية المطلقة .. فهل نحن فى حاجة إلى مثل هذا التساؤل أو إلى الإجابة عنه ؟

حين تعرضت لهذا الكتاب السفيه « تبرئه الذمة فى نصح الأمة » على صفحات مجلة « التوحيد » القاهرية ، حمل إلى البريد عدة رسائل من إخوة كرام ، وفيها يعتبون على انشغالى بالرد على مثل هذه الترهات ، وفى قضايا الإسلام والمسلمين ما هو أحق بالاشتغال به ، وبذل الجهد فى سبيله .. وإذا كان الهدف من وراء أمثال هذا الكتاب هو إشغال المسلمين - ولاسيما السذج منهم - بمثل هذه النوعيات من الفكر الضحل المتهافت ، فإن دخولنا فى معركة كلامية مع هذه الأفكار ، يجعلنا نسهم فى تحقيق الهدف المنشود لهذه الكتب ..

ومع تقديرنا لأصحاب الرسائل من الإخوة الأفاضل ، وحسن الظن منهم بحامل هذا القلم المتواضع ، أود أن قول لهم :

إن الإسلام كلٌّ لا يتجزأ : عقيدة وفكرا ونظاما وتشريعا ، والعقيدة -

بالطبع ـ هى الأساس ، وهذا الكتاب الضال معول يحاول هدم العقيدة الإسلامية الصحيحة بلا رحمة وبلا هوادة ، وأخطر ما فى الأمر أن هذا المعول يرتدى زى الإسلام ، وتبلغ به الحماقة إلى حد الادعاء بأن ما عليه من تفكير عفن هو الهدى ، وما عداه هو الضلال بذاته .

ثم إن خطورة هذه الأفكار الدخيلة على الإسلام ، لا تقف عند حد إفساد العقيدة الإسلامية الصحيحة ، أو تضليل أفهام المسلمين ـ فحسب ـ بل تتعداه إلى إعطاء خصوم الإسلام من المبشرين والشيوعيين ، والمستشرقين يهودا كانوا أم نصارى ـ فرصة الطعن فى الإسلام والنيل منه من واقع ما يكتبه أدعياء العلم من الدراويش والأفاقين والدجاجلة المرتزقة .

إن رسول الله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ أمرنا إذا رأينا المنكر أن نغيره باليد فإن لم نستطع فباللسان ، فإن لم نستطع فبالقلب .. وذلك أضف الإيمان ، ونحن لا نملك إلا أقلامنا وألسنتنا .. وأصبح لزاما علينا أن نتصدى لهذا الزيف الذى يشوه حقيقة الإسلام الناصعة .. ولم يجرئ هذا الباطل على التمادى إلا مواقفنا السلبية منه ، ثم كيف نترك الدخن يستشرى فى دم الإسلام النقى ، لأن المطلوب منا أن نغض الطرف عنه ، ونتحول إلى نعام تدفن رؤوسها فى الرمال ؟

وبعـــــد ...

فإنه لا يسعنى فى هذه المقدمة إلا أن أحيى فى الأخوين المسلمين المفضالين : الشيخ سعيد محمد العمودى والشيخ عمر بادحدح التاجرين بجدة عملهما وجهادهما فى سبيل نشر العقيدة السلفية .. فقد كانا حافزين لى على التصدى بقلمى لهذه الأباطيل التى تسيئ إلى الإسلام .

وأسأل الله عز وجل أن يجعل أعمالنا وأقوالنا خالصة لوجهه

١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧ م — محمد عبد الله السمان

قصة هذا الكتاب

هذا الكتاب الضخم الذى يقع فى زهاء ثلاثمائة وثلاثين صفحة ، من أكبر قطع ، من مطبوعات ما يسمى : بالطريقة البرهانية الدسوقية الشاذلية ، أما جامعه فهو « محمد عثمان عبده البرهانى » من السودان الشقيق ، والذى زار مصر منذ أعوام ، واستقبل استقبال القادة الفاتحين ، حيث بذل أتباعه هنا نشاطا غير معهود ، وقد استقل القطار من أسوان إلى القاهرة - عن قصد - وعلى كل محطة وقف عليها القطار كان فى استقبال القطار الطبل والزمر ، وحشد هائل من الكائنات الساذجة والمضللة ، وفى العاصمة سلطت عليه الأضواء من وسائل الإعلام : من إذاعة وصحافة وتليفزيون ، وسعت إليه شخصيات مرموقة فى المجتمع ، منها ذوو النجوم اللامعة ، وذوو العمائم الضخام . وذوو الكوادر السياسية العظام .

والحق أن النشاذ غير المعهود الذى حدث فى استقبال شيخ الطريقة ، أسهم فى الجزء الأكبر منه الأستاذ عقيل مظهر رئيس مدينة طنطا سابقاً ، وهو من ذوى الكفاءات التى لا تنكر فى إحياء الخرافة والهذبان الصوفى ، ففى كل محافظة كان يعمل بها ، استطاع بنفوذه ، أن يقيم داخل محافظته دويلة للطرق الصوفية ، وبمعنى أدق ، دويلة للأضرحة المشهورة التى نسجت الأكاذيب حول أصحابها ثيابا مزركشة من الترهات - والأباطيل والأساطير .

وليس عجيبا فحسب - أن يعطى الكتاب عنوانا براقا : تبرئة الذمة فى نصح الأمة .. وتذكرة أولى الألباب للسير إلى الصواب . وإنما العجيب أيضاً طبع الكتاب خلال أزمة ورق خانقة فى ديار المسلمين ونفاد توزيعه برغم أن ثمنه جنيه مصرى ، مما يؤكد أن الجهل بخير فى ديار المسلمين .. وأعجب من هذا وذاك ، أننى منذ شهور أثرت قصة هذا الكتاب الذى يهذى باسم الإسلام الذى أصبح مغلوبا على أمره ، فانبرى أحد المشتغلين بحرفة التصوف يحاول إقناعى أن هذا الكتاب مدسوس على الشيخ ، ولست أدرى كيف يدس كتاب من ثلثمائة وثلاثين صفحة من القطع الكبير جدا على شيخ ذائع الصيت دون أن يصدر بيان من الشيخ ينفى ما نسب إليه ؟ بل إن أتباع الشيخ المتعصبين له أشد التعصب لا يزالون يروجون لهذا الكتاب ،

يقنعون به الأميين ، ويخدعون به أنصاف المتعلمين ؟ أما ما هو أعجب من هذا كله ، فهو الإشارة التي جاءت على لسان فضيلة الدكتور بيصار وكيل الأزهر يومئذ ، قبل أن يتولى المشيخة وغيره من المسئولين ، إلى أن الكتاب قد طبع في بيروت ،وليس في الكتاب أدنى دلالة على ذلك . بل إن الكتاب غفل من التاريخ واسم المطبعة وعنوانها ، مما يؤكد أن الكتاب مطبوع في مصر ، ولهذه المسألة أهميتها ، فمن السهولة بمكان أن تطبع الكتب الزائغة في مطبعة جرئية تستطيع بأساليبها الخاصة أن تفلت من المساءلة ، لأن قانون المطبوعات بالنسبة للكتب لا يزال حيا يرزق ، وقد سبق لكتب المدعو : محمد نجيب الذى كان وكيلا لوزارة المواصلات ، أن طبعت بهذه الطريقة ، وكلها كتب تدعو إلى هدم العقيدة . إذ تنكر الأحاديث النبوية جملة وتفصيلا ، وترفض الإيمان بفرائض الإسلام كما تلقاها المسلمون منذ أربعة عشر قرناً .. ومن كتبه كتاب « الصلاة » في ٥٠٠ صفحة ، والكتب كلها توزع بالمجان ، مما يبرهن ذلك على أن وراء هذا العمل مخططا رهيباً لتخريب الإسلام .

عندما ظهر هذا الكتاب الزائغ بادرت بالكتابة عنه في جريدة يوميه وكان الشيخ وقتها يزور مصر ، وكنت أرى أن ذلك مناسب ، لأن الشيخ ضيف على مصر ، وما فهمته يومها هو أن الظروف لم تكن تسمح للمحرر أن يفسح صدر الصفحة لنقد الشيخ ، معنى ذلك في التعبيرات المشهورة : أن الأمير لم يصدر الإذن بعد .. ولذلك فإننا نعجب لظهور حملة عنيفة مفاجئة على الطريقة وشيخها وكتابه الملئ بالهذيان ، والكتاب ظهر منذ سنوات ، والطريقة لها نشاطها منذ سنوات طويلة .. كنت أودأن يسأل محرر الأهرام فضيلة وكيل الأزهر الذى قرر في حديثة أن الكتاب كفر صريح : لماذا لم ينشر الأزهر - وهذا رأيه - بيانا على الناس بشأن الكتاب في الصحف اليومية أو على الأقل في مجلة الأزهر وهى لاتملك إلا السمع والطاعة ؟ .

لقد ذكر في الصحف أن الشيخ الذى خدع الجماهير سنوات طويلة زعيم البرهانية ، قد رفعت ضده عدة قضايا تنظرها الآن محاكم السودان وأن الحكومة السودانية أصدرت أمراً بإغلاق زاويتين للبرهانية في الخرطوم ،

كما ذكرت « الأهرام » أيضاً أن السيد اللواء سيد فهمى وزير الداخلية يومئذ اجتمع منذ أيام مع شيخ مشايخ الطرق الصوفية ، لبحث أوضاع الطريقة البرهانية وموقفها ونشاطها فى ظل القرارات الصادرة بحظر نشاطها ، والمسئول عن ترويج كتابها « تبرئة الذمة » بعد أن صدر قرار بمصادرته وحظر تداوله ونشره لخطورته على العقيدة الإسلامية .

فهل معنى هذا أن إذن الأمير قد صدر ، وأصبح من حقنا أن نستعرض عضلاتنا ، وقد أرخيناها من قبل ، يوم أن كان يجب أن تشتد لوجه الله ، فمثلا إدارة الدعوة بوزارة الأوقاف كان لديها علم بالكتاب الضال المضل منذ أكتوبر ١٩٧٤ ، كما جاء على لسان فضيلة الشيخ إبراهيم الدسوقى مدير الدعوة ووزير الأوقاف فيما بعد ، وأعد المكتب الفنى بالوزارة تقريراً متجاوبا مع مديرية أوقاف المنيا التى أثارت موضوع الكتاب ، وفى التقرير أن الكتاب دعوة مغرضة وأثيمة لتقويض عقيدة الإسلام ، وتشويه بساطته وشل حركته ، ولكن ماذا بعد هذا ؟ لا شئ .

هل قام خطباء المساجد بواجبهم مثلا ؟ أبدا .. هل يكفى إزاء هذا التخريب أن نقف عند حد كتابة التقارير ؟

وفى الأزهر مثلا ، مجمع البحوث الاسلامية .. ماذا فعل ؟

لا شئ . ونعلم أن فى الأزهر إدارة كبرى للوعظ والإرشاد ؟ ماذا فعلوا ؟ لا شئ .

وكلمة أخيرة . هل الطريقة البرهانية وحدها هى التى تقوم بالتخريب فى عقائد المسلمين ، أم أن غيرها كثير .. فما موقفنا من هذه الطرق الصوفية المنحرفة التى تقيم لنفسها دويلة داخل الدولة ؟ هلى نتركها ترعى كالسوائم فى جسد الإسلام .. حتى يصدر الإذن من الأمير ؟ وهذه الكتب الصوفية المخرفة التى تنشر بلا وعى ، وبأقلام العمائم الضخام ، هل نتركها بلا حساب تفسد ذوق العقيدة ؟ إن الانتفاضة التى قامت أخيراً بشأن هذا الكتاب الآثم ، جاءت متأخرة بدون شك ، فلأن الكتاب صدر منذ سنوات - من ناحية - ومن ناحية أخرى فإن لشيخ الطريقة البرهانية منذ سنوات طويلة أتباعا ، يروجون لآرائه الضالة بين الشباب الساذج البرئ ،

وهم منتشرون فى كل مكان ولاسيما فى وسائل الإعلام ، ومنهم مخرج للبرامج الدينية بالتليفزيون ، شديد التعصب للطريقة وشيخها ، وقد جعل من كل برنامج يخرجه حكرا على كل متحدث يؤمن به هو : إن صدقا وإن تزلفا من أجل لقمة العيش ، وفى القاهرة نائب للطريقة من الدارسين للقانون يعيش كما يعيش المترفون المدللون .

والذى يثير الألم - لا مجرد الدهشة ، هو أنه بالرغم مما نشرته جريدة الأهرام على لسان فضيلة وكيل الأزهر ، وعلى لسان مدير الدعوة بوزارة الأوقاف : وعلى لسان شيخ سابق للطريقة البرهانية ، الذى تنازل عن المشيخة بعد قراءته كتاب « تبرئة الذمة » وهؤلاء جميعا وغيرهم أجمعوا على أن الكتاب والطريقة وشيخها ، مخطط رهيب لتخريب العقيدة الإسلامية . وبالرغم من هذا كله يخرج علينا الشيخ : ؟؟

الذى نسأل الله له حسن الخاتمة .. بكلمة فى الأهرام بعنوان مثير « دفاع عن البرهانية » ما كان أغناه عنها ، وفى حياته الكثير من الآراء القلقة ، وحسبنا تعليق محرر الصفحة الدينية بجريدة الأهرام ، فقد حول الشيخ .. إلى مجرى السياسة وجعل من نفسه مشفقا على الوحدة الوطنية من التفتيت ، وهو منطق لا يحسنه غير هذا الشيخ . وقد عاد فى كلمة أخرى يعترف بأن الكتاب يحتوى - بلا ريب - على مخالفات صارخة لا يسع أى مسلم أن يرضى بها أو يتغاضى عنها .

ولنترك الشيخ وشأنه - نسأل الله له العافية فى الدين والدنيا - ولنعد إلى أحد العاملين بحرفة التصوف ، الذى أوهمنا بأن الكتاب مدسوس على الشيخ .. يقول الشيخ فى مقدمته للكتاب الآثم :

« لما رأيت من الفائدة التى عادت على الناس - بعد الاطلاع على الكتاب السابق « انتصار أولياء الرحمن على أولياء الشيطان » - كتاب من تأليفه - فكرت فى إخراج هذا الكتاب وسميته : « تبرئة الذمة فى نصح الأمة .. وجعلته فى أربعة أجزاء » وليس من المنطق أن يكلف إنسان نفسه العناء المادى والمشقة الذهنية ، فى ظروف أزمة الورق الخانقة ، ليدس على الشيخ كتابا ضخما كهذا ، استغرق طبعه ثلاثة أشهر على الأقل .. وعلى كل ،

فادعاء إنسان من المؤيدين تأييداً أعمى للشيخ ، بأن الكتاب مدسوس عليه يتضمن اعترافا صريحا بهذيان ما جاء في الكتاب .. وكفى .

إن الشيخ يعول كثيرا على كتاب « جواهر البحار » للسيوطي ، وعلى أقوال ابن عربي والجيلاني والنابلسي والجيلي وأبي طالب المكي . وكأن هؤلاء حجة على الإسلام يجب تقديس آرائهم وأقوالهم ، ويحرص الشيخ مزودا بعبارات السباب والشتائم والمهاترات ، على أنه يجعل من المسائل الأربع التي أثارها معركة حامية الوطيس ، وليس في حلبة الميدان سواه ، شاهرا سيفه الخشبي ، وهذه المسائل الأربع هي :

أسبقيةالنور المحمدي ، وجود الأقطاب والأوتاد ، والنجباء والأبدال ، وخصائص الرسول عليه السلام ، ثم التوسل والتبرك بآثار من أسماهم بالأولياء والصالحين .

ويضيف الشيخ في مكر ومغالطة إلى قائمة من نقل عنهم ، بعض الأسماء العزيزة لدينا ، كابن حجر العسقلاني ، والإمام الذهبي ؛ والمقريزي ؛ والشيخين دقيق العيد والإمام ابن تيمية وغيرهم . كما يكيل الاتهامات لأنصار السنة من السلف والخلف ويزعم أنهم إذا سمعوا حديثا لا يوافق هواهم ، حكموا بوضعه ، واتهموا رواته ، ويبلغ به الهذيان مبلغا كبيراً حين يفترى عليهم أنهم ينقصون قدر الرسول - عليه السلام - حين يزعمون أنه صلوات الله عليه - كان جاهلا - قبل أن يأتيه الوحي .

ونحن - حرصا منا على وقت القارئ المسلم المستنير ، ورحمة بأعصابه - سنعرض نماذج سريعة مما تضمنه الكتاب من هذيان أو مغالطات - بل ومفتريات على الإسلام ، لا للكشف عن الجهل المطبق الذى يتمتع الشيخ بأكبر قسط منه - فحسب - بل أيضا لتعرية افتراءاته على النصوص بتأويلاته الفاسدة ، وتحريفاته المشينة ، واستغراقه في إيهام القارئ المتواضع في ثقافته الإسلامية ، حين يسوق كلاما مبهم المصادر .

ويبدو أن الشيخ الأمي يتوهم نفسه محدثا ، طويل الباع في علوم الحديث ، فيسوق الأحاديث الواهية بلا تخريج ولا تبيان لدرجاتها ، وكأنما هو حجة ، فإذا نطق بها ، فنطقه بها يحمل دليل صدقها .. وسلامة

مصدرها .. وتبلغ به الحماقة مبلغ الجرأة على تأليف الأحاديث . فيزعم فى الصفحة الخامسة من الكتاب الآثم : أن الصحابة رضى الله عنهم حين طلبوا إلى رسول الله عليه السلام أن يوصيهم ـ وهو محتضر ـ قال لهم : ماذا فى الأمر ؟ لقد تركت لكم الثقلين : كتاب الله . وآل بيتى .. نبأنى العليم الخبير : أنهما اجتمعا ولن يفترقا ، حتى يردا على الحوض يوم القيامة .. وإنى فرط لهما ، وسائلكم عنهما يوم القيامة»

وبمثل هذا الحديث المفترى على رسول الله ، يزعم الشيخ أنه يأتى بالأدلة القاطعة والبراهين الساطعة فى دحض حجة من فسدت عقيدته وحاد عن سواء السبيل منطقه . وما إلى ذلك من عبارات السجع الممجوجة الهابطة .

ويستغرق الشيخ فى الجرأة التى تكشف عن استغراقه فى الجهل ، حين يحاول أن يجعل من نفسه عالما فريدا من علماء التفسير ، يسوق الآية الكريمة : ﴿ إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ، لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا ﴾ فيقول : وتعزروه وتوقروه خاصتان بالنبى ، وتفسير : وتوقروه .. تسوّدوه .. ثم يزعم أن بعد كلمة « توقروه » وقف تام ، ولا أساس لذلك من الصحة ، ليؤكد أن الضمير فى اللفظين يعود على الرسول ، والضمير الثالث فى « وتسبحوه » يعود على المولى عز وجل .. يقول الإمام النسفى فى تفسيره : والضمائر ـ أى الثلاث ـ لله عز وجل ، ومن فرق الضمائر فجعل الأولين للنبى ، فقد أبعد » .

وبعد ـ فإن أتباع الشيخ ومريدى آرائه الغريبة ، يوهمون السذج ، بأن الكتاب للخاصة من أهل الباطن ، أما علماء الظاهر فهم أعجز من أن يفهموا الكتاب ، ويبدو أن هؤلاء الأتباع مصابون بلوثة فى عقولهم ، فالإسلام لا يقيم وزنا للألغاز ، وشريعته الحقة واضحة للعيان .

يعول الشيخ البرهانى كثيرا على كلام ورد فى مؤلفات بعض الزائغين الذين أفسدوا العقيدة الإسلامية ، وفى مقدمة هذه المؤلفات :

كتاب الجواهر ، ومما ينقل عنه قوله :

« وله ﷺ أربعة وثلاثون إسراء .. منها إسراء واحد بجسمه والباقى بروحه .. رؤى رآها صلوات الله عليه .

وأما الأولياء .. فلهم إسراءات روحانية برزخية يشاهدون فيها معانى متجددة فى صورة محسوسة للخيال .. يعطون العلم بما تتضمنه تلك الصور من المعانى .. ولهم الإسراء فى الأرض وفى الهواء ، غير أنهم ليس لهم قدم محسوسة فى السماء .

ولا تسل الشيخ الناقل : من أين لصاحب الجواهر هذا القول ؟ لأنه لا مصدر له إلا الهوس والتخريف أو التجديف .

إن الشيخ البرهانى يكاد ينقل إلينا كتاب « الجواهر » الذى سبقت الإشارة إليه ، وإلى الأخوة القراء هذه القصة المثيرة التى نقلها الشيخ عن شيطانه .

« لقى أحد الناس صاحبا له فى زمان أبى يزيد البسطامى . فقال له :

هل رأيت أبا يزيد ؟ فقال الرجل : رأيت الله فأغنانى عن أبى يزيد .

فقال له : لو رأيت أبا يزيد مرة لكان خيراً لك من أن ترى الله ألف مرة .. !! فلما سمع الرجل رحل إليه ، فقعد مع صاحبه على طريق أبى يزيد .. فعبر أبو يزيد وفروته على كتفه . فقال له صاحبه : هذا أبو يزيد . فلما نظر إليه الرجل مات من ساعته .. ولما أخبر أبو يزيد بشأن الرجل قال : كان الرجل يرى الله على قدره .. فلما أبصرنا تجلى له الحق على قدرنا .. فلم يطق فمات .. !

فهل هناك هوس شر من هذا الهوس ؟

وينقل لنا الشيخ عن سادته أو شياطينه :

أن الأولياء لهم الكرامات وهى خرق العوائد .. يسخر الله لهم الملائكة ، وإن هولاء الملائكة يفعلون للأولياء ما يشاءون .. وأعلى هؤلاء الأورلياء مرتبة ، من يتصرف « بكن » كما يقولون : وأمرى بأمر الله .. إن قلت كن يكن » .

ويحدثنا الشيخ البرهانى عن شفاعة الأقطاب الأربعة : الرفاعى والجيلانى والبدوى والدسوقى - فى المسلمين ، فيقول :

« قيل لكل من سيدى أحمد الرفاعى وسيدى عبد القادر الجيلانى فى

عالم الأرواح : « إن الله تعالى شفعك فى سبعين ألفا من الأمة المحمدية .. ولما قيل لسيدى أحمد البدوى مثل أخويه ، طلب أن يملأ له فمه على حسب طلبه ، فوسع فمه أكثر من سبعين ألفا أضعافا لها .. ولما قيل لسيدى إبراهيم الدسوقى ذلك .. طلب أن يزاد له فى جسمه ، فزيد ، ثم طلب أن يزاد أكثر ، فزيد .. وهكذا حتى سأله الجبار جل وعلا عما يريده من كبر جسمه ، فقال : « يارب إنك قلت وقولك الحق فى كتابك العزيز : « لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين » وأنا أريد أن أملأ جهنم لوحدى حتى لا يصلاها أحد » فقال جل وعلا : أتتكرم على كريم ياإبراهيم ؟ إنا شفعناك فى سبعين ألفا ، مع كل فرد منهم سبعون ألفا ، وكل هذا غير من أخذ طريقتك ، وغير من دخل مقامك ، وزارك » .

ثم يعقب الشيخ البرهانى بقوله : « فالله المنة والحمد ، وفى هذا يقول أحد المريدين متوسلاً بسيدى إبراهيم الدسوقى من قصيدة طويلة :

متشفعا الجزا فى سائر الـ ... أتباع مع زرواه من غير حد
وكذاك فى سبعين ألفا قد عصَوْا ... كل له سبعون ألفا بالعدد

والشيخ البرهانى متفوق فى جرأته وتطاوله على السلف ، ويصف عقيدتهم - فض الله فاه - بالفساد ، فيقول :

« ومن المعلوم أن المنكرين - من أصحاب العقائد الفاسدة - ينكرون على الأولياء والصالحين ، العلوم الإلهية واللدنية ، وأنهم يأخذون العلوم الغيبية تارة من مشايخهم ، وتارة من رسول الله ﷺ وتارة يتلقون معانى التنزيل من الرحمن » .

ثم يسوق الشيخ هذه القصة المثيرة ، يقول :

لما بلغ الإمام علياً أن التوراة فسرت فى سبعين كتابا ، قال : « لو يأذن الله لى لحملت من فاتحة الكتاب وحدها سبعين بعيرا » .

ويفترى الشيخ - فى جرأة - على الإمام على ، فيزعم أنه جاء على لسانه :

« أنا آية الجبار .. أنا حقيقة الأسرار ... أنا دليل السموات ... أنا سائق الرعد .. أنا حفيظ الألواح .. أنا البيت المعمور .. أنامزن - أى مطر -

السحائب .. أنا نور الغياهب .. أنا سبب الأسباب .. أنا أمين الحساب .. أنا الأول والآخر .. أنا الظاهر والباطن .. أنا مفصح الزبور .. أنا مؤول التأويل .. أنا مفسر الإنجيل .. أنا أم الكتاب .. أنا فصل الخطاب .. أنا نور المسبحين .. أنا الفرقان .. أنا الرحمن - أنا النبأ العظيم .. أنا الصراط المستقيم .. » .

وبعـــــد :

فهل مثل هذا الهوس في حاجة إلى تعقيب ؟ إلا إذا أبحنا لأنفسنا أن نعقب على ما يتفوه به الحشاشون ونزلاء مستشفى الأمراض العصبية .

والمشكلة أو المأساة لم تنته بعد ..

فأولاً : لأن الطريقة البرهانية التى حملت الصحف عليها وعلى شيخها حملة شعواء ، لا تزال قائمة فى مصر والبلاد الإسلامية على قدم وساق . تباشر نشاطها بلا خوف أو تردد ، وتنفث سمومها بلا أدنى رقابة .

وثانياً : لأن كتاب « تبرئة الذمة » ليس وحده المزدحم بالضلال ، وإنما هناك عشرات من الكتب الصوفية الضالة المضلة لا تزال تطبع فى مصر وتنشرها أحيانا دور نشر تتبع القطاع العام ، يكتبها أو يكتب بعضها ويروج لها ، شيوخ ينتسبون إلى الأزهر ، ويتربعون على كراسيه الكبار .. وهذا أخطر زوايا المأساة ..

وحسبنا الله وحده ... !

إن من حق أى إنسان - ولو شبه مثقف - أن يمتلئ غيظاً لدجل هذا الشيخ الذى يشمخ بأنفه كعالم وفقيه ، بينما هو من أهون أدعياء العلم والفقه ، ولقدرته على التلفيق ، ولجرأته على الإسلام ، وكأن هذا الدين أعزل ممن يدافع عنه ، وأعجز من أن يجد له نصيرا يذب عنه أباطيل الشيخ ونزغاته .

وقد بلغت به الجرأة إلى حد السخرية من عقول الناس ، لا بما ضم كتابه بين دفتيه من إفك وزور وبهتان - فحسب - بل حتى بما اختار لكتابه من عنوان زائف لا يمت إلى موضوع الكتاب الغث بأدنى صلة ، إذ ليس فى هذا الكتاب الضخم سطر واحد ينطبق العنوان عليه ، فكل ما حشا به صفحات الكتاب قصص ملفقة ، وحكايات مختلقة ، وروايات تشم منها - لأول

وهلة - رائحة التدليس التى تزكم الأنوف ،ولا مكان لنصح ولا إرشاد ولا توجيه ، وفوق هذا وذاك أتخم الكتاب بالطلاسم والألغاز التى تؤدى بالقارئ إلى متاهات لا أول ولا آخر لها .

وإلى القارئ عناوين الأجزاء الأربعة للكتاب :

الجزء الأول : يشتمل على فضل النبى ﷺ وأسبقية نوره ، وبيان أن كل الديانات مستمدة منه ، وخصائصه ﷺ كما فى جواهر البحار .

الجزء الثانى : يشتمل على قصة الإسراء والمعراج ، وإثبات رؤية النبى - للمولى سبحانه وتعالى ، وكذلك ما جاء فى كتاب « الجواهر » لسيدى الشيخ جلال الدين السيوطى فى الخبر الدال على وجود القطب والأوتاد والنجباء والأبدال ، وتنوير الحلك فى رؤية النبى والملك ، ومسالك الحنفا فى والدىَ المصطفى .

الجزء الثالث : يشتمل على خصائصه - ﷺ - كما جاء فى كتاب « جواهر البحار » .. وكلام سيدى الشيخ محيى الدين بن عربى .

الجزء الرابع : ويشتمل على أبواب متفرقة وهى : مراتب الدين والسير إلى الله ، والسير فى الله ، ومراتب الغيب ، وأسرار الفتنة الكبرى ، والوسيلة والتوسل ، والتبرك بآثار الصالحين ، والشفاعة .

ودعك مما يدعيه الشيخ من أن أدلته الواردة ظاهرة بين الناس ظهور الشمس فى رابعة النهار ، وحسبنا أن نحيل القارئ إلى ما تضمنته عناوين الأجزاء الأربعة التى أشرنا إليها ، فهل يجد فيها شيئاً ذا بال يمكن أن ينتفع به مسلم ، أو جديرا بأن نشغل به أذهان المسلمين ؟

ولكنه الهوس الذى لا يجد له مكانا إلا بين جدران مصحات الأمراض العقلية المستعصية .. ولله فى خلقه شئون .. !!

تمهيـــــد

﴿ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّي إِلاَّ أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾

(سورة يونس - ٣٥)

آجـــــل :

فما لكم كيف تحكمون ؟

الاتبـاع أولى أم الابتـداع ؟ إذا كـان الاتبـاع هو الحق ، والابتـداع هو البـاطل ، وإذا كان الاتباع هو الهدى والرشاد والابتداع هو الضلال والغيّ ، فهل هناك أدنى ريب فى أن الاتباع هو الأولى ، وقد يوجد هذا الريب فيمن أعمى الله أبصارهم وبصائرهم ، وأفئدتهم هواء .

وهل هناك أدنى مـثار للجدل فى أن المؤمن الخالص إيمانه ، العاقل فى تفكيره ، هو من يتبع كتاب الله وسنة رسوله ، ويقتدى بسلوك السلف ؟

وقد يوجد الجدل لدى من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير .

هل هناك شك فى أن قضية القضايا هى قضية التوحيد ؟

إذا كـان الإيمان جـوهر العـقيدة ، فـإن التوحيد هو جـوهر الإيمان .. والرسالات السماوية التى نيط بها أنبياء الله ورسله ،لم تكن تدعو - وحسب - إلى وجود الله - عز شأنه - بل كذلك - التأكيد على وحدانيته - سبحانه - خالصة من أية شائبة من شوائب الشرك ، وكتاب الله وسنة رسوله - صلوات الله وسلامه عليه - من الجلاء والوضوح بمكان ، وعلى هذا النهج القويم ، عاش السلف ابتداء من الصحابة ، ومرور بالتابعين ، وانتهاء بتابعى التابعين ، عاش جميعهم فى التزام تام بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وعاشت بينهم عقيدة التوحيد بخير ، لم يتسلل إليها شائبة من شوائب الشرك أبداً ، كان هؤلاء السلف بإيمانهم وشجاعتهم حراسا على عقيدة التوحيد .

وتسلل الدخل والدخن إلى عقيدة التوحيد ، عن طريق التصوف ، ويستوى أن يكون مصدره مسيحيا أو يهوديا ، أو هنديا أو فارسيا أو إغريقيا ، وإن حاول البعض من الأدعياء ، رد التصوف إلى الزهد الذى بدأ فى القرنين الثانى والثالث من الهجرة .

كان الزهد مرحلة اقتضتها الضرورة الملحة لكى تواجه ترف السلطة ، بعد أن تحولت الخلافة إلى ميراث وملك ، وتحول الخلفاء إلى أباطرة

وأكاسرة ، ولم يكن هذا الزهد قائما على البطالة المقنعة أو الزرية السافرة - كما هي الحال في التصوف والطرق الصوفية ، بل كان قائما على أساس سليم ، هو الإنكار السلمي على مظاهر الترف والبذخ ، اللذين سادا وانتشرا بعد الخلافة الراشدة باستثناء عصر خامس الخلفاء الراشدين عمر بن عبد العزيز ، وكان عهدا قصيرا - زهاء ثلاث سنوات .

« بلغه - رحمه الله - أن ابنا له يلبس خاتما ثمنه ألف درهم ، فكتب إليه : «بلغني يا بني أنك تلبس خاتما ثمنه ألف درهم ، أنصحك أن تبيعه ، وتطعم بثمنه ألف جائع ، والتمس لنفسك خاتما من حديد ، واكتب عليه « رحم الله امرءا عرف قدر نفسه » .

إذا كان كتاب الله أمرنا أن نجادل أهل الكتاب بالتي هي أحسن ، فمن باب أولى : الجهلة من المسلمين ،ولو شكلا بمقتضى شهادات مواليدهم ، ومن خلال هذه المعايير التي نقدمها نَكلُ هؤلاء القوم إلى ضمائرهم ، والله وحده يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور .

ونسأل في هدوء :

- أيهما أولى بالالتزام : الإجماع أم الخلاف ؟

- جاء في سورة البقرة ١٨٦

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُم يَرْشُدُون ﴾

وروى الترمذي - في حديث حسن - عن ابن عباس - رضي الله عنهما قال :

« كنت خلف النبي - ﷺ - يوما ، فقال :

يا غلام . . إني أعلمك كلمات :

احفظ الله يحفظك .

احفظ الله تجده تجاهك .

إذا سألت فأسال الله .

وإذا استعنت فاستعن بالله .

واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشئ لم ينفعوك إلا بشئ قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشئ لم يضروك إلا بشئ قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف » .

أبعد هذا القول الفصل من الكتاب والسنة ، يصر هؤلاء القوم على التمسح بالأضرحة والمقامات والمشاهد ، والتوسل بمن فيها ؟

- وروى مسلم فى صحيحه عن بريدة - رضى الله عنه - قال : « كان النبى - ﷺ - يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقول قائلهم :« السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون .. أسأل الله لنا ولكم العافية » .

- وروى الترمذى - فى حديث حسن - عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال :

« مر رسول الله - ﷺ - بقبور بالمدينة فأقبل عليهم بوجهه فقال : « السلام عليكم يا أهل القبور : يغفر الله لنا ولكم ، أنتم سلفنا ونحن بالأثر » .

بالأثر : سائرون بعدكم إلى نفس المصير .

ألا يتضح لهؤلاء القوم من هذه الأدلة القاطعة أن المطلوب من زائر القبور أن يطلب الدعاء لهم ، لا أن يطلب منهم الدعاء لنفسه ؟

« ألا يدرك هؤلاء القوم أن المرء إذا مات انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية أوْ علم يُنْتَفَع به ، أو ولد صالح يدعو له » .

روى الحديث مسلم عن أبى هريرة .

- روى مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة - رضي الله عنه - عن النبى - ﷺ - قال :

« لا تشَدُّ الرحال إلاَّ إلى ثلاثة مساجد : مسجدى هذا ومسجد الحرام ، ومسجد الأقصى » .

فهل يليق بمسلم صحيح العقيدة ، أن يقطع عشرات الآميال بل ومئاتها إلى المساجد التي بها بعض الأضرحة المشهورة ؟

وهذه مسألة لا يمكن السكوت عنها :

مسألة وجود القبور بالمساجد :

لقد نهى الإسلام نهيا قاطعا عن وجود القبور بالمساجد من منطلق قوله تعالى :

﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ (سورة الجن - ١٨)

- روى مسلم في صحيحه عن عائشة وعبد الله بن عباس - رضى الله عنه - قال :

« لما نزل برسول الله - ﷺ - طفق يطرح خميصة له على وجهه ، فإذا اغتم ، كشفها عن وجهه ، فقال - وهو كذلك : لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » يحذر مثل ما صنعوا .

طفق : أى شرع ، ومعنى نُزل به : اشتد المرض عليه

الخميصة : كساء له أعلام .

- وفى صحيح مسلم عن عائشة أن أم حبيبة وأم سلمة - رضى الله عنهن - « ذكرتا كنيسة رأتاها بالحبشة ، فيها تصاوير - لرسول الله - ﷺ - فقال رسول الله - ﷺ - إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات ، بنوا على قبره مسجدا ، وصوروا فيه تلك الصور ، أولئك شرار الخلق عند الله - عز وجل - يوم القيامة » .

أنحن فى حاجة إلى دليل بعد ذلك على أن وجود هذه الأضرحة ببيوت الله بدعة منكرة ؟

وهلى تصح عقيدة مسلم ، إذا كان حين يدخل مسجدا به ضريح - قبل أن يتجه إلى القبلة ليصلى تحية المسجد يتجه إلى الضريح يطوف حوله ويتوسل بصاحبه ؟

وهل يليق بعالم أزهرى تربع يوما على كرسى المشيخة ، أن يرى أن وجود الأضرحة بالمساجد لا شئ فيه ، لأن بالمسجد النبوى قبر الرسول - ﷺ - وصاحبيه : أبى بكر وعمر - رضى الله وسلامه عنهما ؟ أيجهل الشيخ - رحمه الله - أن قبر الرسول وقبرى صاحبيه لم تضم إلا لضرورة توسعة المسجد النبوى ، وتم ذلك فى عهد الخليفة الأموى : الوليد بن عبد الملك المتوفى عام ٩٦ هـ .

وإنهـــا لمأســـــاة :

وأية مأساة أسوأ من أن تصبح هذه الأضرحة مورد رزق سخى ، للدجالين والمشعوذين ليس هذا - وحسب - بل كذلك للمشايخ من علماء الدين ، عن طريق صناديق النذور التى تخدع السذج والبسطاء .

وبرغم أن فى إيراد هذه الصناديق الذى يبلغ الملايين من الجنيهات كل عام ، ما تعتريه الشبهات ، لأن النذر عبادة والعبادة لله وحده ، إلا أن ذوى العمائم يستحلون ذلك ، وللطرق الصوفية نسبة لا بأس بها من إيراد الصناديق ، ومنذ سنوات نشرت مجلة روز اليوسف تحقيقا صحفيا ذكرت فيه أن لشيخ مسجد السيد البدوى ٧ ٪ من الإيراد بلغ نصيبه ١٧٥ ألف جنيه فى العام .

ولو ظل فى عمله أستاذا بجامعة الأزهر ، لما زاد إيراده السنوى من مرتبه - كثيرا على ثلاثة آلاف جنيه .

صادف أن وقع فى يدى قرار وزارى رقم ٢٢ لسنة ١٩٧١ م صادر من وزارة الأوقاف ينص على الآتى :

٩ ٪ لخليفة السيد البدوى حوالى مائة ألف جنيه ، مقابل ركوبه الحصان فى الليلة الختامية للمولد .

٦ ٪ لحامل مفتاح مقصورة الضريح أكثر من ستة وستين ألف جنيه .

٢٥٪ لشيخ المسجد والمؤذن والخادم ومقيم الشعائر مائتان وخمسة وعشرون الف جنيه .

أليست هذه مهزلة صورها شاعر النيل حافظ إبراهيم - حيث قال :

أحيـــاؤنا لا يرزقـــون بدرهم
وبألف ألف ترزق الأمـــوات

من لى بحظ النائمين بحفـرة
قامت على أحجارها الصلوات

يسعى الأنام لها ويجرى حولها
بحـــور النذور وتقـــرأ الآيات

ويقـال هذا القطب باب المصطفى
ووسيلة تقضى بها الحاجات

ورحم الله الشاعر عبد الحميد الديب : تعريت واكتست الأضرحة !!

ومثل هذا الكم من الجهل ، ما يزال مستشريا فى العديد من الدول المسلمة المغرقة فى الأمية الدينية ، لكن السؤال الذى يفرض نفسه :

أيليق بدولة تزعم أنها دولة العلم والإيمان ، وفيها مستقر أعظم جامعة إسلامية يمثلها الأزهر .. أيليق بمصر ـ دولة الأزهر ـ التى أنجبت من العلماء ذوى المكانة الرفيعة من أمثال الإمام محمد عبده ، واحتضنت أمثال جمال الدين الأفغانى ، وعاش بين ربوعها أمثال العلامة محمد رشيد رضا ـ أن تسمح لهذا الجهل المطبق يعشعش فيه ؟

وللبدع المنكرة أن تستقطب مئات الألوف من البشر ولبدعة الموالد أن تسهم فى البطالة المقنعة ؟

قيل : إن مولد السيد البدوى فى طنطا يجتذب أكثر من ثلاثة ملايين ، يقضون أياما ، ويخرجون ألسنتهم لمسألة زيادة الإنتاج ، وفى هذا الحشد الهائل بندس أرباب السوابق والهاربون من العدالة ، والنشالون والدجالون .

ومن هذا الحشد قطيع من البشر لا عمل له إلا ملاحقة الموالد ابتداء من أسوان جنوبا إلى الإسكندرية شمالاً ، ومن شواطئ البحر الأحمر شرقاً إلى مرسى مطروح والواحات غربا وهذا القطيع البشرى يجد من السذج إغداقاً عليهم ، باعتباره من أهل الله !! .

أسمار وأقاويل

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٦ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (سورة لقمان : ٦ ، ٧)

الرسول فى غنىً عن هذا الغلوّ

« لاتطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم ، فإنما أنا عبده ..
فقولوا عبد الله ورسوله » .

هذا حديث نبوى متفق عليه رواه عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

لكن يبدو أن مثل هذا الحديث الصحيح ليس مقنعاً لهؤلاء الغوغاء حتى يكفوا عن الغلو فى شخصية الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - ولو أننا وقفنا عند كتاب الله عز وجل ، وهو يحدد معالم شخصيته تحديداً يجعله فى أسمى مقام ، لما احتجنا إلى مثل هذا السفه الذى يجتره شيخ الطريقة البرهانية الدسوقية الشاذلية ، ومن هم على شاكلته من الغرغاء : علما وفقها ، ومنطقا وأمانة وأدبا .. والممتلئين تطاولا وسفاهة ، وبذاءة وحمقا ..

فى انفعال وتوتر يقول هذا الشيخ الأفاق منزوف العقل عن« أنصار السنة» الملتزمين بكتاب الله وسنة رسوله ، الذين يعتبرهم على حد حماقته - الفئة الباغية :

« ومن سؤ أدب هذه الفئة الباغية أنها تأتى باسم الرسول مجردا من السيادة ، بل ولايصلون عليه عند ذكر اسمه .. فيقولون - قاتلهم الله - محمد ، ويدعون أن لفظ السيد يطلق على الله تعالى وحده ، ونسوا - أو تناسوا - أنه ليس من بين أسماء الله الحسنى اسم « السيد » وأنه تبارك وتعالى قال فى حق سيدنا يحيى : « وسيدا وحصورا » فياليت شعرى : من أين لهم الذين يدعون ، وهم بجهلهم لايشعرون » .

إن الشيخ يجهل أن الحديث الوارد بأن لله تسعة وتسعين اسما ..

لم يقصد العدد على سبيل الحصر ، فإن لله عز وجل أضعاف أضعاف هذا العدد ، ولقد كان من دعاء الرسول : « أسالك بكل اسم سميت به نفسك أو استأثرت به فى علم الغيب عندك » كذلك يجهل الشيخ أن وصف القرآن يحيى عليه السلام بالسيد لايعنى أن نخاطبه نحن بكلمة « سيدنا » وها نحن أولاء نقرأ التشهد فى صلواتنا ، وليس فيه إضافة كلمة « سيد » فأيهما أحق .. الاتباع أم الابتداع ؟؟

إن محمداً - صلوات الله وسلامه عليه ، كان بنص القرآن بشرا رسولاً ، والنبوة والرسالة شرف لايدانيه شرف ، ومعنى كونه بشراً أن يخضع لسائر سنن الله في البشر ، يأكل ويشرب وينكح ، ويصح ويمرض ، ويهرم ويموت ، شأنه شأن سائر البشر ، سواء بسواء ، قال الله له : «إنك ميت وإنهم ميتون » وقال له : «وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون » وضمير الغائب في « وإنهم » وفي « فهم » يعود على البشر . إذن فالمساواة تامة من حيث البشرية بينه عليه السلام وبين البشر ، وأعني بالبشرية الجانب الطبيعي منها في التكوين والخلقة والنشأة ، وجد في الدنيا ثمرة نكاح بين أبويه ، وحملت به أمه تسعة أشهر كسائر النساء ، وجاءها المخاض كسائر النساء ، ومر بمرحلة الرضاع كسائر الأطفال في مرحلة الرضاعة ، وعندما حان أجله مات فغسل وكفِّن وصلِّى عليه ثم دفن كسائر البشر ، وكل ما دونته بعض كتب السيرة من خوارق تتصل بالجانب البشري منه ، لا أساس له من الصحة . .

ومعنى كونه رسولا ونبيا - عليه السلام - أنه حمل أعباء النبوة والرسالة ، فأدى الأمانة خير أداء وقد أثنى الله عليه بما هو أهله في كتابة العزيز ، ثناء جامعا شاملا لشخصه وسلوكه معا ، وفي مقام النبوة والبشرية على السواء ، وأي إنسان يحاول أن يغلو في شخصه عليه السلام بما هوفي غنى عنه ، وبما يعتبر محاولة لتبديل سنة الله في الكون والطبيعة والبشر ، هذا الإنسان متجاوز حدود الأدب مع الله عز وجل . .

إن الله سبحانه كرم محمدا - ﷺ - أعظم تكريم بالنبوة والرسالة ، وأثنى عليه ثناء جامعا شاملا : « بالمؤمنين رؤوف رحيم » .

«وإنك لعلى خلق عظيم . . النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم . . ومن يطع الرسول فقد أطاع الله - قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله » فها أنت ذا ترى أن الله سبحانه يثني على رسوله ثناء على خُلقه لاعلى خَلْقه ، لكن المتنطعين من الصوفية المخابيل يصرون على أن يتغزلوا في كل موضع من جسد الرسول ، يردد المؤذنون على المآذن ما جاء به من هذيان :*

---

* نسب الشعر الآتي إلى حسان بن ثابت ، ونحن نستبعد ذلك

خلقت مبرءا من كل عيب كأنك قد خلقت كما تشاء
وأجمل منك لم تر قط عينى وأحسن منك لم تلد النساء

ولايملك الإنسان إلا الصمت إزاء هذا الهذيان ..

لقد جال الشيخ البرهانى جولة واسعة فى دنيا الهذيان .. فنقل إلينا الكثير من كتاب المدعو « عبد الكريم الجيلى » المسمى بـ« قاب قوسين وملتقى الناموسين » والعياذ بالله .. وعنوان الباب الثالث فى هذا الكتاب الهابط : « كمال خلقته واعتدالها ، وظهور جمالها وجلالها ، ظهرا وبطنا ، صورة ومعنى ﷺ ما هدر الورق وغنى ، وهب النسيم وهنا » .

فى الفصل الثانى يقول الجيلى :

« أما ذاته الشريفة - ﷺ - فإنها كانت أجمل الذوات وأكملها وأفضلها وأنورها وأطهرها ، وصورته أجمل الصور وأحلاها وأزكاها ،

وفى الحديث : كان أملح من يوسف عليه السلام ، وفى حديث عائشة : أنها كانت مع رسول الله - ﷺ - على فراشه فى ليلة مظلمة ، فسقط من يدها إبرة إلى الأرض ، فكشفت عن وجه رسول الله - ﷺ - فوجدتها بنور جبينه . فرفعتها ..

ومن شطحات الجيلى :

إن محمدا مجموع العوالم . لأن روحه العقل الأول - العالم كله مخلوق منه - إن قابليته - ﷺ - كلية ، وقابلية سائر الموجود من المرسلين والنبيين والملائكة المقربين ، وسائر الأولياء والصديقين وغيرهم من المؤمنين الصالحين، وسائر الأكوان جزئية ، قاصرة بالطبع عن درك شأوه المنيع ، عاجزة عن اللحوق بشأنه الرفيع ، ولما علمت الأنبياء والأولياء ، وضعت الرءوس خضوعا على باب عزه العالى ، وحطمت رقابها على أرض المذلة لمجده الشامخ السامى - إن قوة محمد بقوة العالم كله : العرش والكرسى واللوح والقلم ، والأملاك والأفلاك ، والسموات والنجوم ، والكواكب السيارات ، والشمس والقمر والنار ، والريح والماء ، والتراب والشجر والحجر ، والمعدن والحيوان، وجميع الإنس والجان ، وجميع ما خلق الله تعالى وما هو خالق .. قال أبو الغيث بن جميل : « خضنا بحرا وقف

الأنبياء على ساحله » لأن اللحوق الحقيقى بالشخص . لايكون إلا لمن بعده صورة ومعنى ، فالأولياء الكمل من أمة محمد - ﷺ - لاحقون به صورة ومعنى . فهم خائضون بحر اللحوق المحمدى ، بخلاف الأنبياء ، لأنهم إنما لحقوا بمحمد حكما ، فهم لاحقون من حيث المعنى ، لا من حيث الصورة ، فلأجل ذلك ، وقفوا على ساحل بحر اللحوق بالكمال المحمدى ، لأنهم كانوا فى الظاهر متبوعين لاتابعين لغيرهم ، على أنهم فى الحكم تابعون له - ﷺ - والأولياء تابعون له لامتبوعون ، فالأولياء تابعون له - ﷺ - صورة ومعنى ، عينا وحكما .. فمن وفق الله تعالى له أن يلحق قطرة ببحر الحقيقة المحمدية ، فاز بالسعادة الأبدية الكبرى ، وحق له أن يقول ما قاله الشيخ عبد القادر : « ما رفع النبى - ﷺ وسلم - قدماً إلا وضعت قدمى موضع قدمه إلا قدم النبوة العظمى .. » .

ويواصل عبد الكريم الجيلى هذيانه :

« فلولا الحقيقة المحمدية لم يكن خلق ، ولولا الخلق لما ظهرت صفات الحق لأحد .. فلولا الحقيقة المحمدية لما عرف الله مخلوق ، ولاظهرت صفاته لأحد ، إذا لا أحد .. !!

وفى كتاب آخر للجيلى عنوانه : « النور المتمكن فى معنى قوله ، المؤمن مرآة المؤمن » يقول على لسان عبد القادر الكيلانى :

معاشر الأنبياء ، أوتيتم اللقب ، وأوتينا ما لم تؤتوه »

ويعلق الجيلى :

« يعنى أن الأنبياء أوتوا لقب التبعية للنبى - ﷺ - فسموا أتباعا له بالحكم ، وإنما حقيقة الاتباع الأولياء من أمته ، لأنهم تشرعوا بشرعته ، وتحلوا بكمالاته المختصة به ، فهم تبع لمحمد حقيقة ومجازا ، صورة ومعنى ، ظاهرا وباطنا ، وكل من دونهم فلا يسمى تبعا للنبى إلا بوجه واحد أو وجوه متعددة ، لامن كل الوجوه ، فما شمول الوجوه كلها بالتبعية إلا للكُمَّلِ من أمة محمد » .

إن الشيخ البرهانى الدسوقى الشاذلى ، لعبته الأحاديث المنكرة ، والتفسير الهابط لبعض آى من القرآن فى جرأة وحماقة ، والرجل كأنما

كتب كتابه أو جمعه لعالم خليط من السذج والمعتوهين ، فهو يسوق الآية الكريمة : « ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه وقل رب زدنى علماً » ثم يقول : « وهذا يوضح أن القرآن كان عند النبى - ﷺ - قبل جبريل ، ويأتى به جبريل للتفصيل وأما البيان فهو على الرسول ، بدليل قوله تعالى :

« لتبين للناس ما نزِّل إليهم »

وما أيسر على الشيخ البرهانى أن يقول : « ويروى » أو « قال عليه السلام » وما دام يكتب لعالم هو خليط من السذج والمعتوهين ، فمن الذى يسأله : من أين لك هذا . ؟ لذلك تراه فى جرأه يقول :

ويروى أن جبريل قد جاء إلى الرسول بأول سورة مريم « كهيعص » فقال له جبريل « كاف » فقال الرسول « علمت » فقال جبريل : « هاء » فقال الرسول « علمت » وهكذا إلى نهاية الحروف الخمسة فقال له جبريل : « آتيك بالوحى وتعلمه ولا أعلمه ؟ » فقال - ﷺ - : « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم »

ثم يقول الشيخ البرهانى ، وكأنما هو واثق من نفسه ، بل كأنما يقص على الأطفال من حواديت جدنه :

« وكان جبريل بمجلس الرسول فى صورة أعرابى ، عندما كان جابر يسأله - ﷺ - عن أول شئ خلقه الله - فى حديثه المشهور - عند البرهانى ومن هم على شاكلته - فحسب - فقال الرسول :

نو رنبيك يا جابر .. فاستغرب جبريل ، فسأله الرسول : يا جبريل كم عمرت - من السنين ؟ فقال : يارسول الله لست أعلم ، غير أن فى الحجاب الرابع نجماً يطلع فى كل سبعين ألف سنة مرة ، ورأيته سبعين ألف مرة ..

وفى رواية :

ثم سأل - ﷺ - جبريل باطنيا ، عن المكان الذى يأتى منه بالوحى ، فقال : حيثما أكون فى أقطار السموات والأرض أسمع صلصلة جرس ، فأسرع إلى البيت المعمور ، فأتلقى الوحى ، وأحمله إلى الرسول أو النبى ، فقال له - ﷺ - : أذهب إلى البيت المعمور الآن واتل نسبى ، فذهب بسرعة

إلى البيت المعمور ، وتلا نسب النبى فانفتح البيت المعمور ، ولم يسبق أن فتح له قبل ذلك ، فرأى النبى - ﷺ - بداخله ، فتعجب ، وعاد مسرعا إلى الأرض فوجد الرسول فى مكانه مع جابر ، فعاد بسرعة خارقة إلى البيت المعمور فوجده هناك ، ثم عاد مسرعا إلى الأرض فوجده ما زال مع جابر ، فعاد إلى صورة الأعرابى وسأل جابرا : هل ترك رسول الله هذا ؟ فقال : كلا يا أخا العرب وإننا لم ننته بعد من الحديث الذى تركتنا فيه ، فقال جبريل للرسول : إذا كان الأمر منك وإليك فلماذا تعبى ؟ فقال - ﷺ -: « للتشريع ياأخى يا جيريل » وتلا قوله تعالى : ولاتعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه ، وقل رب زدنى علما .. »

وقد قيل فى هذا المعنى - والكلام للشيخ البرهانى :

« هو الوحى ، والموحى إليه ، وموحيه .. !!

أخزاكم الله أيها الصوفية البلهاء الحمقى ..

والعجيب ليس دفاع هذا الشيخ البرهانى عن مثل هذا الهذيان وإنما جرأته على كتاب الله بالتفسير المختلق لكتاب الله ، إذ كيف يستقيم ، رأى هؤلاء المعتوهين : أن القرآن كان عند الرسول قبل أن يوحى إليه ، مع قوله تعالى فى آخر سورة الشورى : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾

ويتسلط الشيخ البرهانى على آية : « قد نرى تقلب وجهك فى السماء ، فلنولينك قبلة ترضاها .. » ليستدل منها على قابلية الرسول للتجزئة ، بمعنى إمكان وجوده فى أكثر من مكان فى لحظة واحدة ، كما فى الحديث الخرافى السابق الذى ساقه إلينا ، فيقول مفسراً الآية « وهذا دليل واضح على التجزؤ الجسدى لأن « قد » هنا للتحقيق ، فكان - ﷺ - فى صلاة الظهر - من أحد الأيام - بمسجد القبلتين ، وفى البيت المعمور ، وفى عرش الرحمن يطلب من المولى قبلة يرضاها له ولأمته ..

ثم يواصل الشيخ هذيانه فيقول :

« وحاصل الأمر أن النبى كان يعلم ما كان وما هو كائن ، وما سيكون إلى يوم القيامة ..

وبالطبع فلا أهمية لدى الشيخ البرهاني لقوله تعالى : (قل لايعلم من في السموات والأرض الغيب إلا آلله . . أو قوله تعالى : (وعنده مفاتيح الغيب لايعلمها إلا هو . .) أو قوله تعالى : (قل لاأملك لنفسى نفعا ولاضرا إلا ما شاء الله ، ولوكنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير ، وما مسنى السوء . إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون » .

والعجيب أن الشيخ البرهانى يستعذب أن يسفه رأى غيره ، ولو كان من جلة العلماء بالإضافة إلى تطاوله على أئمة السلف ، فتراه يقول :

« يظن البعض أن سيدنا جبريل كان الواسطة بين الله وبين الرسول ، ومن ظن هذا فقد دلل على عدم معرفته ، إذ لو صح أن جبريل كان الواسطة بين الله ورسوله ، لتعين وجود خلل فى كلمة التوحيد ، فبدلا من لا إله إلا الله محمد رسول الله ، تكون لاإله إلا الله محمد رسول رسول الله . »

والعجيب المؤلم أن للشيخ البرهانى ومن هم على شاكلته ، ألسنة طوالا وعقولا قصارا ، وآفاقا ضيقة ، لا يواجهون من لايقر هوسهم إلا بالسباب والشتائم ، التى لايملكون غيرها ، ويرفضون أن يكون كتاب الله وسنة نبيه الصحيحة حكما عدلا بينهم وبينه ،لأن أدمغتهم قد حشيت بالتأويلات الفاسدة لكتاب الله ، وبالأحاديث الملفقة التى هى من صنع الزنادقة وبشطحات الباطنية المارقين من الدين كابن عربى والحلاج والبسطامى وابن الفارض وغيرهم . .

إن المعانى الحية العظيمة التى جاء بها محمد - ﷺ - لتذوب فى خضم هذه الغوغائية من الغلو فى شخصيته . . ولكن هؤلاء الغلاة لاتعنيهم هذه المعانى الحية العظيمة فى قليل أو كثير ، فهم حريصون على بضاعة تروج بين السذج والبسطاء ، ولا يعنيهم أن كتاب الله حرص على أن يقدم شخصية الرسول مجردة من كل خيال ، ليضع حدا للغلاة الذين يحاولون رفع راية التطرف ، ليعيدوا إلى الأرض عباده الملوك والأنبياء والملائكة ، ولجهلهم : يحسبون أنهم يحسنون صنعا . . !

إن الشيخ البرهانى يتجاهل قول الله تعالى : « فلاتزكوا أنفسكم هو أعلم بمن أتقى » ويتجاهل أن الرسول كان خلقه القرآن ، ثم يأتى على لسان

الرسول بعشرات الأحاديث الملفقة التي يزكى فيها نفسه . .

ثم يتناسى الأحاديث الصحيحة التي يتجلى فيها تواضع الرسول - ﷺ - كحديث - مسلم - الذى ينهى فيه عن إطرائة . .

وفى الصحيحين أيضاً عن أبى هريرة :

« سئل - ﷺ -: أى الناس أكرم ؟ قال : أكرمهم عند الله أتقاهم ، قالوا : ليس عن هذا نسألك « قال : فأكرم الناس يوسف نبى الله ابن نبى الله ، ابن نبى الله خليل آلله ».

وفى حديث مسلم على أنس :

« جاء رجل إلى النبى - ﷺ - فقال : يا خير البرية . فقال - ﷺ - ذاك إبراهيم »

وفى الصحيحين أيضاً :

« لاينبغى لعبد أن يقول : أنا خير من يونس بن متى »

وفى الصحيحين ثالثاً :« لا تخيُروا بين الأنبياء »

أسبقية النور المحمدى

هذه المسأله « أسبقية النور المحمدى » من أبرز مظاهر الغلو فى شخص الرسول - صلوات الله عليه - ولقد صال فيها الشيخ البرهانى وجال ، مقلدا وناقلا ، ومرددا كالببغاء هذيان الذين سبقوه من المتصوفة الحمقى . ويبدو أن مركب النقص عند الشيخ البرهانى ، مركب النقص القائم على الشعور بالجهل والقصور ، هو الذى جعله لايناقش الحجة بالحجة ولايجادل بالتى هى أحسن ، فتراه يبدأ بالتطاول على أئمة السلف وتسفيه آرائهم قبل أن يبدأ عرض رأيه أو استعراض علمه المزعوم ..

فى بداية كتابه الآثم مثلا يقول :

« أما الفرية التى افتراها أصحاب العقائد الفاسدة ، والتى تدل على عمى بصائرهم ، فإنهم يرون أن النبى - ﷺ - لم يكن يعرف شيئاً قبل نزول جبريل بالوحى عليه ، ويستدلون بدلائل واهية لاتستحق الرد عليها ، ولكننا - اعترافا بحق رسول الله علينا وعلى العالمين - أردنا أن نوضح للناس أسبقية نور نبيهم من الكتاب والسنة » .

وبالطبع ، ليس لدى هذا الشيخ من الأدلة سوى تأويل فاسد لآيات القرآن الكريم ، وبعض أحاديث واهية من وضع الغلاة والزنادقه ، وشطحات مأثورة عن حثالات أدعياء ، ومثل هذه الأدلة الواهية التى تثير السخرية ، لا تثبت لحظة واحدة أمام آية واحدة من كتاب الله عز وجل :

« وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا . ماكنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان » ..

ومع ذلك فسوف نعرض لأدلة الشيخ البرهانى على أسبقية النور المحمدى ، لا لأنها جديرة بالعرض فضلا عن المناقشة - بل ليشهد المثقفون وأنصاف المثقفين على تفاهة الرجل وجرأته على إفساد كتاب الله ، فبعد أن ساق هذه الآيات الأولى من سورة « الفجر » : ﴿وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ﴾ قال :

« يرى بعض المفسرين - والحق أن معظمهم لابعضهم كما يزعم - أن المقصود

بالليالى العشر ، عشرة أيام ذى الحجة ، وأن الفجر هو انطلاق الصبح المعروف عند الناس .. ولكن كبار المفسرين أهل البصائر - ولم يذكر الشيخ لنا واحدا من هؤلاء المزعومين - يرون أن الفجر هو حالة قبضة نور النبى - ﷺ - وأن الليالى العشر ، هى الحجب العشرة التى تنقل فيها نور النبى ، وهى حجب الجلال ، ومايؤيد ذلك عدم وجود أيه إشارة فى هذه الآيات لأى يوم أو نهار ، بل هى ليل صرف بعد ليل ، حيث إن الليالى دائما وأبدا تكون مقرونة بالأيام فى الصحف وفى الحديث والأحكام بدليل قوله تعالى :

﴿ سخر ها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حُسومًا ﴾

لكن مارأى الشيخ فى قول الله تعالى ﴿ إنا أنزلناه فى ليلة مباركة إنا كنا منذرين . فيها يفرق كل أمر حكيم ﴾ وقوله تعالى ﴿ إنا أنزلناه فى ليلة القدر ﴾ .. فأى ذكر لليوم أو النهار فى هذه الآيات التى نكتفى بها ؟

إن الشيخ يكشف عن جهله من حيث لايدرى ، ولست أدرى من أين له هذا الهذيان الذى ساقه بعد ذلك ، حيث يقول ؟ :

«وكان نور النبى ينتقل فى هذه الحجب العشرة من مرتبة إلى مرتبة ، فمثلا فى المرتبة الأولى كان يشكر الله بشكر الشكر ، وفى الثانية بالشكر ، وفى الثالثة بحمد الله وفى الرابعة بالحمد ، وفى الخامسة بذكر الذكر ،وهكذا .. هذه الليالى العشر ، والشفع إنما هى وجود الحقيقة الأحمدية فى الحقيقة المحمدية ، أى وجود الحقيقتين معا فى حالة الاثنية ، والوتر جمع الحقيقتين فى واحدة « محمد » أى ذاته ، إذ أن الوتر هو واحد الثلاثة .. الفردية إشارة إلى الحقيقة ، والوترية إشارة إلى الحقيقة المحمدية ، والجمال إشارة إلى الذات المحمدية ، إذ هو لاهوت الجمال وناسوت الوصال « والليل إ ذا يسر » معناه : كَم معرفة النبى .. فلايمكن معرفته ما لم يعرف هو غيره .. !

هل فهمتم شيئاً أيها العقلاء .. ؟ وأتحدى أن يكون الشيخ البرهانى قد فهم مما نقله كالببغاء شيئاً ..

ثم يقول : ﴿ قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين ﴾ هذه الآية

تثبت أولوية وجود نور النبي - ﷺ - وأنه عبد المولى في كل الحجب العشرة « المزعومة » . ويا - لمصيبة الجهل ، فعلى هذا المنطق الأخرق يكون هناك إقرار بولد لله وحاشاه ، سبحانه ، يعني مادام النصارى يتباهون بأن عيسى ابن الله ، فمحمد موجود قبل وجود عيسى . مع أن الآيه الكريمة لا تشير من قريب أو بعيد إلى خرافة أسبقية النور المحمدى ، وإنما تشير إلى معنى لا يدركه الصوفيون المستغرقون في الجهالة ، فإذا كان هناك من يدعى لله ولداً - سبحانه - فرسول الله أول العابدين في عصره - وهو عصر التحدى - على طريق وحدانية الله وتنزيهه عن الولد والشريك والشبية ، أما هؤلاء المخرفون فلا يفهمون ، إن هم كالأنعام ، بل هم أضل . .

ويقول الشيخ البرهاني :

وحديث جابر يثبت أسبقية نوره - صلوات الله عليه - وحتى لو لم يكن حديث جابر « المزعوم » له أدنى أساس من الصحة ، والعجيب أن الشيخ البرهاني يضفى على نفسه صفة رجال الحديث ، فيكتب في نهاية الحديث « حديث صحيح » لكن ما هو سنده في منح الحديث مرتبة الصحة ؟ لاشئ، ولأول وهلة تشم من الحديث رائحة التأليف ، والمؤلف أحد المخمورين ، ونحن مضطرون إلى أن ننقل للقراء نص الحديث ، معتذرين لهم إضاعة أوقاتهم في قراءة هذا الهذيان :

عن جابر قال : قلت يا رسول الله ، بأبى أنت وأمى ، أخبرنى عن أول شئ خلقه الله تعالى قبل الأشياء . . قال يا جابر : إن الله تعالى خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره ، فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث يشاء الله تعالى ، ولم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم ولاجنة ولا نار ، ولاملك ولاسماء ولا أرض ، ولاشمس ولاقمر ، ولا جن ولا إنس ،فلما أراد الله أن يخلق الخلق ، قسم ذلك النور أربعة أجزاء :

فخلق من الجزء الأول القلم ، ومن الجزء الثانى اللوح ، ومن الجزء الثالث العرش ، ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء : فخلق من الجزء الأول حملة العرش ، ومن الثانى الكرسى ، ومن الثالث باقى الملائكة ، ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء : فخلق من الجزء الأول السموات ، ومن الثانى الأرضين،

ومن الثالث الجنة والنار ، ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء فخلق من الجزء الأول نور أبصار المؤمنين ، ومن الثانى نور قلوبهم - وهى المعرفة بالله ، ومن الثالث نور أنسهم - وهو التوحيد - لاإله إلا الله محمد رسول الله ، ثم نظر إليه فترشح النور عرقاً ، فقطرت منه مائة ألف قطرة وعشرين ألفا وأربعة آلاف قطرة ، فخلق الله من كل قطرة نبيا ورسولا ، ثم تنفست أرواح الأنبياء فخلق الله من أنفاسهم أرواح الأولياء والسعداء والشهداء والمطيعين من المؤمنين إلى يوم القيامة فالعرش والكرسى من نورى ، والكروبيون (؟) من نورى . والروحانيون من نورى ، والجنة وما فيها من النعيم من نورى ، والشمس والكواكب من نورى ، والعقل والعلم والتوفيق من نورى ، وأرواح الأنبياء والرسل من نورى ، والسعداء والصالحون من نتائج نورى ، ثم خلق الله آدم من الأرض ، وركب فيه النور وهو الجزء الرابع ، ثم انتقل منه إلى شيث ، وكان ينتقل من طاهر إلى طيب إلى أن وصل إلى صلب عبدالله بن عبد المطلب ، ومنه إلى رحم أمى آمنة ، ثم أخرجنى إلى الدنيا ، فجعلنى سيد المرسلين ، وخاتم النبيين ، وقائد الغر المحجلين .. هكذا بدأ خلق نبيك يا جابر .. !!

الحق أننا بحاجة إلى عقل « ألكترونى » حتى نستوعب هذا الكلام ، فأغلب الظن أن واضع مثل هذا الحديث أراد أن يسخر من عقولنا نحن المسلمين ، لأنه كان واثقاً من أن الحديث سيجد له مروجين سفهاء الأحلام يسّودون به صفحات مثل هذا الكتاب الآثم ..

ولا داعى للتعليق على هذا السفة ، وحسبنا ما قاله العلامة الشيخ رشيد رضا فى الجزء العاشر من المنار ، قال :

« ومنهم من يحتج ببعض الأحاديث الموضوعة والمنكرة لترويج هذا الغلو ، الذى يفتن العوام ، كحديث جابر فى خلق النبى - ﷺ - قبل كل شئ من نور الله تعالى ، وهو أن الملائكة وغيرهم خلقوا من ذلك النور ، بل خلق منه كل شئ ، وأنه - ﷺ - أصل هذا الوجود ، ومنه خلق كل موجود ، وقد يقال - من جهة المعقول : إن كان ذ لك النور الذى خلق منه هو ذات الله سبحانه ، فهو كما يقول النصارى أو أفظع ، وإن كان نورا مخلوقا ، وإضافته إلى الله تعالى للتشريف ، فهو المخلوق الأول ، والمخلوق منه هو الثانى »

هذا الكلام مما لا يفهمه مثل الشيخ البرهانى ، وإن فرض - جدلا - أنه يفهمه ، فلا يمكن أن يهضمه ، لأنه يعيش فى جو من الخرافة التى أصبحت هوايته المفضلة ومصدر سلطانه ..

وجرأة الشيخ البرهانى على ادعاء العلم لانظير لها ، فها هو ذا يقدم لنا - على حد زعمه - دليلاً من القرآن على أسبقية النور المحمدى ، قوله تعالى :

﴿ هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً * إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه ، فجعلناه سمعيا بصيرا ﴾

ثم يقول :

« وقد قال بعض المفسرين : إن الإنسان المقصود فى هذه السورة هو أبونا آدم عليه السلام .. ولكن رؤساءنا السادة الصوفية قالوا : إن آدم لم يكن مخلوقا من نطفة أمشاج ، ولذلك فإن المقصود بهذه السورة هو الإنسان الكامل محمد - ﷺ - ثم فهى توضح أسبقية نوره كما جاء فى حديث جابر « المنكر » وإن كان البعض يعتقد أن هذا الحديث حديث آحاد ، ولهذا فهم لايعتمدون عليه» .

من قال لك أيها « المحدث » العلامة إن حديث جابر حديث آحاد ؟ إنه حديث منكر ، والذين رفضوا هذا الحديث رفضوه لأنه منكر وليس لأنه آحاداً .. !

أطمار وأضاليل

إنَّ الَّذينَ يُجَادلُونَ فِي آيَات اللَّه بغَيْرِ سُلْطَان أَتَاهُمْ إنْ فِي صُدُورهِمْ إلاَّ كِبْرٌ مَّا هُم ببَالغيه فَاسْتَعذْ باللَّه إنَّهُ هُوَ السَّميعُ الْبَصيرُ

(سورة غافر - ٥٦)

الهذيان

يزعم الشيخ البرهانى أن عليا كرم الله وجهه قال فى خطبة كلاما لا يصدق العقل وروده من على ، وقد أساء الشيخ من حيث يقصد الإحسان ، فكان فى حماقة الدبة التى يضرب بها المثل ، وقد قال الحكماء : « عدو عاقل خير من صديق جاهل » فهل يعقل أن يزكى على - رضى الله عنه - نفسه بمثل هذا الهراء ، ونعوذ بالله من كلمة « أنا » :

أنا آية الجبار .. أنا حقيقة الأسرار .. أنا سخى الأنوار .. أنا دليل السموات .. أنا أنيس المسبحات .. أنا خليفة جبرائيل .. أنا صفى ميكائيل .. أنا قائد الأملاك . أنا سمندل الأملاك .. أنا سائق الرعد .. أنا شاهد الوعد .. أنا سرير الصراخ .. أنا حفيظ الألواح .. أنا قطب الديجور .. أنا البيت المعمور .. أنا زاجر العواصف ... أنا سالم محرك العواصف المعاصف .. أنا مزن السحائب .. أنا نور الغياهب .. أنا سبب الأسباب .. أنا أمين الحساب .. أنا مدد الخلائق .. أنا محقق الحقائق .. أنا جوهر القدم .. أنا مرتب الحكم .. أنا الأول والآخر .. أنا الظاهر والباطن .. أنا أم الكتاب .. أنا فصل الخطاب .. أنا الفرقان .. أنا الرحمن .. أنا يعسوب الدين .. أنا إمام المتقين .. أنا والله وجه الله .. » .

قال الرواى : يا سادة يا كرام : فصاح الصائح صيحة وخر ميتا .. والصائح هنا أحد الخوارج ، قال لعلى وهو يخطب : يا أمير المؤمنين : أنت حاضر ما ذكرت . وعالم به ، وبتأويل ما أخبرت » فالتفت إليه على عن كثب ؛ ورمقه بعين الغضب ، ثم قال له :

« ثكلتك أمك ؛ ونزلت بك النوازل ، يا ابن الخبايث ؛ والمكذب المناكس ، لإبيك الفشل ؛ ولأمك الهبل .. ثم انطلق فى الحديث عن نفسه : أنا كذا .. أنا كذا .. إلى أن قال :

لقد حزت علم الأولين وإننى - ضنين بعلم الآخرين .. كتوم .. وكاشف أسرار الغيوب بأسرها .. وعندى حديث حادث وقديم .. وإنى لقيوم على كل قيم .. محيط بكل العالمين عليم .

ثم لو شئت لأوقرت من تفسير الفاتحة سبعين بعيرا .. والدافع إلى هذا

القول ، أنه - كرم الله وجهه - بلغه أن التوراة قد فسرت فى سبعين كتابا ؛ فقال : لو يأذن الله لى لحملت من فاتحة الكتاب وحدها سبعين بعيرا . . »

ولا أعتقد أننا بحاجة إلى التعليق على هذا الهذيان .

يقول الراوى الشيخ البرهانى .

روى عن الشيخ أبى منصور الحلاج أنه كان يقول دائما :

« أيها المسلمون : اقتلونى تؤجروا وأسترح » ويلومه الناس ، ويعنفونه ويقولون له : أنت إمام جليل . . فكيف يصح قتلك ؟ ولكنه كان يظل يردد قوله ، ويشاء الله أن يستجيب له فيأمر به إلى السجن فى قصته المشهورة ، وقولته المعروفة « ما فى الجبة إلا الله » وقد حكم عليه بالشنق لاتهامه زورا وبهتانا بالكفر ، وقد ارتاح هو لذلك الحكم ، إذ كان ذلك مقصده ومناه .

وكان قد سأله أحد الناس عن التصوف ، فطلب منه معاودته فى اليوم التالى ، الذى صادف اليوم الذى اقتيد فيه إلى المشنقة ، فعاد إليه السائل فى موعده ؛ فوجد أن السجان قد اقتاده إلى المشنقة ، فقال له وهو فى طريقه : يا مولاى ، لقد وعدتنى بشرح معنى التصوف ، فأجبنى لطلبى ، فأنشده قائلا :

كفرت بدين الله والكفر واجب - لدىّ وعند المسلمين قبيح .

ويحاول الشيخ البرهانى - فى غباء - الدفاع عن زندقة الحلاج ، فيقول : ومعنى الكفر هنا - كما يقصده الحلاج - التغطية ، كما فى الكفار بمعنى الزراع لتغطيتهم الحب . . وقد استعملت كلمة « الكفر » مجازا لمن ينكرون البعث والنشور ويقصد الحلاج أنه يعلم كثيراً من الأسرار مما لا يجوز البوح بها ، إذ هى من العلم الذى أمر ﷺ بكتمه فى مرتبة الإحسان ، وعلى ذلك فهو يتمنى الموت » .

ويحكى الراوى الشيخ البرهانى حكاية الحلاج الملفقة فيقول :

وكان الحلاج يسير يوما ، وكان فى فصل الشتاء ، فقابلته هرة صغيرة تتلوى من البرد ، فأخذها ووضعها فى كم جبته ؛ ولما سئل عما فى الجبة قال : ما فى الجبة إلا الله » ولما رأى الحاضرون الهرة حكموا - لجهلهم - بكفره ، وحاشاه . . . !!

ويعجب الإنسان لجرأة هذا الشيخ البرهاني على التلفيق ، فالمعروف أن الحلاج لم يحكم عليه عامة الناس بالكفر بسبب قصة الهرة المزعومة ، وإنما حكم عليه علماء الشريعة الإسلامية لنظرية الحلول التي كان يدعو إليها ، ويتشيع لها ، ولقد ظل في السجن مدة طويلة وعذب ثم نفذ فيه قضاء الله، فكيف حدث الحوار بينه وبين الذى سأله عن التصوف قبل إعدامه بيوم ؟

وإلى القارئ قصة لا تقل هذياناً عن قصة الحلاج ، فيقول الشيخ البرهاني الدسوقي الشاذلي :

« ومثل ذلك حدث للشيخ الجليل والولى الشهيد - معاذ الله - محيى الدين بن عربى ، عندما قال للناس : « معبودكم تحت قدمى » يقصد الكنز الذى كان واقفا عليه ، والذى ظهر بعد تنفيذ حكم الإعدام عليه ، وقد أشار للناس أنه عندما يدخل « السين » فى « الشين » يظهر كلام محيى الدين ، فكان أن دخل - فيما بعد - السلطان سليم الشام وفتحها ووضح للناس ما كان يرمى إليه .. »

والقصة ملفقة من أساسها ، وابن عربى لم يعدم .. كما يزعم الشيخ ، لقد سجن ، ثم توسط له البعض فأخلى سبيله ، وذهب إلى دمشق حيث توفى هناك ؛ ثم كيف اتضح للناس صدى نبوءة هذا المتنبى بالكنز المزعوم، وبين ابن عربى والسلطان سليم فاتح الشام أكثر من ثلاثة قرون من الزمان ؟

وروى ابن السمعانى فى الدلائل عن على كرم الله وجهه :

« قدم علينا أعرابى بعد ما دفنا رسول الله - ﷺ - فرمى بنفسه على قبر النبى - ﷺ - وحثا من ترابه على رأسه وقال يا رسول الله : قلت : فسمعنا قولك ، ووعيت عن الله فوعينا عنك ، وكان فيما أنزل الله إليك « ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله ؛ واستغفر لهم الرسول ، لوجدوا الله توابا رحيما » وقد ظلمت نفسى ، وجئتك تستغفر لى » فنودى من القبر : إنه قد غفر لك ... !! .

يا للعجب .. !!

قصة تحدث في يوم مشهود ، وعلى مرأى ومسمع من ألوف المشيعين من أصحاب رسول الله ، وليست قصة عادية لا تلفت الأنظار ، بل قصة يجرى

فيها أمر خارق للعادة ، ومع ذلك لا ترويها كتب الحديث الستة ولا غير الستة ، وحتى سائر كتب السيرة النبوية لم تشر إليها من قريب أو بعيد ؛ ثم تسجلها كتب المتصوفة المخمورين بعد عدة قرون من حدوثها .

وفي « لطائف المنن » لابن عطاء الله السكندرى :

قال رجل للشيخ أبى العباس المرسى :

يا سيدى صافحنى بكفك هذه ، فإنك لقيت رجالا وبلادا ..

فقال : والله ما صافحت بكفي هذه إلا رسول الله - ﷺ - ثم قال الشيخ - يعنى أبا العباس - لو حجب عني رسول الله - ﷺ - طرفة عين ، ما عددت نفسي من المسلمين ... !!

يا سبحان الله ... !!

أصحاب رسول الله الذين صافحوا رسول الله مئات المرات كانوا يتصافحون كلما التقوا ، ولا تسل كيف صافح أبو العباس كف النبى - ﷺ - لأن أمثال ابن عطاء الله السكندرى لا يسألون عما يفترون ، والقلم رفع عن ثلاثة ، منهم المجنون حتى يفيق ، ويبدو أن هؤلاء المتصوفة الخرقى لا يفيقون ، وليس لديهم استعداد لأن يفيقوا .

وقد ورد أن رسول الله - ﷺ - قد جاء إلى عثمان بن عفان - رضى الله عنه - قبيل قتله واستشهاده ، وهو صائم وخيره - أى الرسول - بين أن ينصره الله على الأعداء ، وبين أن يفطر عنده ؛ فاختار - عثمان أن يفطر الرسول عنده ، فاستشهد رضى الله عنه .. !!

هذا ما يقوله الشيخ البرهاني بلا أدنى حياء ، وأى إنسان واتته الجرأة الممتزجة بالسفه ، ليقول مثل هذا الهذيان لنزلاء مصحة للأمراض العصبية ، لأصيب ولو بطرف من الخجل من نفسه ، لأن الذى يجتر مثل هذا الهذيان لابد أن يحس - فى فترة هدوء - بأنه لا يسخر من عقول مستمعى كلامه بقدر ما يسخر من عقله هو .

ومما يدهش له الإنسان جرأة هذا الشيخ البرهاني ، حين يقول : « وقد ورد » ثم لا يذكر المصدر الذى استقى منه هذا الهذيان ، - والحق معه - فما

دام الكلام هذيانا فى هذيان ، فلماذا نتعب أنفسنا وننتظر منه أن يذكر لنا مصادره ؛ وحتى لو ذكر مصادره فما أعرناها أدنى احترام ، وضربنا بها عرض الحائط ..

يقول الشيخ أو العباس الطنجى « من المجاهيل » :

« وردت على سيدى أحمد بن الرفاعى ، فقال لى : ما أنا شيخك شيخك عبد الرحيم بقنا ، فسافرت إلى قنا ، فدخلت على الشيخ عبد الرحيم القنائى ، فقال لى : عرفت النبى ؟ قلت لا ، قال : رح إلى بيت المقدس حتى تعرف النبى ، فحين وضعت رجلى ، وإذا بالسماء والأرض والعرش والكرسى مملوءة من النبى - ﷺ - فرجعت إلى الشيخ فقال لى : عرفت النبى ؟ قلت : نعم ، قال : الآن كملت طريقتك ، لم تكن الأقطاب أقطابا ، والأوتاد أوتادا ، والأولياء أولياء ، إلا بمعرفته عليه الصلاة والسلام ... !!

تصوروا هذه السفه .. كان الله فى عون الإسلام ... كم تحمل من هذا الهذيان .. !!

وقال الشيخ الكبير قدوة الشيوخ العارفين أبو عبد الله القرشى :

ولما جاء الغلاء الكبير إلى ديار مصر ، توجهت لأن أدعو ، فقيل لى : لا تَدْعُ فما يسمع لأحد منكم دعاء .. فسافرت إلى الشام ، فلما وصلت إلى قريب ضريح الخليل عليه السلام ، تلقانى الخليل ، فقلت : يا رسول الله اجعل ضيافتى عندك الدعاء لأهل مصر ، فدعا لهم ففرج الله عنهم .. !!

الشيخ عفيف الدين اليافعى أحد رواة هذه الأسطورة فى كتابه « روض الرياحين » يدافع عن هذا السفه ، فيقول فى غباء :

« وقوله : « تلقانى الخليل » قول حق ، لا ينكره إلا جاهل بمعرفة ما يرد عليهم من الأحوال التى يشاهدون فيها ملكوت السماء والأرض ، وينظرون الأنبياء أحياء غير أموات ، كما نظر النبى - ﷺ - إلى موسى عليه السلام فى الأرض ، ونظره أيضاً هو وجماعة من الأنبياء فى السموات ، وسمع منهم مخاطبات ، وقد تقرر : أن ما جاز للأنبياء من معجزة ، جاز للأولياء كرامة بشرط عدم التحدى .

بالطبع لا يدافع عن الجهل إلا جاهل ، ولا يتشبث بالهوس إلا متهوس ، من أين للشيخ اليافعي أن الرسول التقى بموسى فى الأرض ؟ ومن الذى قرر : أن ما جاز للأنبياء معجزة جاز للأولياء كرامة .. إلا دولة المخابيل أمثاله ؟ إن القرآن الكريم هو معجزة الرسول الكبرى ، فهل تجوز لولى مزعوم أن يؤتى مثل القرآن .. ؟ وإذا كان القرآن يقول :

﴿ وقال ربكم ادعونى أستجب لكم ﴾ ويقول : ﴿ وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون ﴾ ولا واسطة ولا يحزنون ، فمن الذى قال للشيخ أبى عبد الله القرشى : لا تدع فما يسمع لأحد منكم فى هذا الأمر دعاء .. إلا شيطانه .. ؟ الله يقول : ادعونى ... ويرفض الشيخ أمر الله ، ثم يستمع لأمر معتوه مثله ؟

إن الشيخ البرهانى يجتر حكايات هابطة مصدرا ودلالة ، وعقلا ومنطقا ، ثم لا يشير إلى مصدرها ، إما لأن مصدرها يثير السخرية فى موازين العلم ، وإما ليوهم القارئ بوثوقه من صحة مصدرها ؛ لكن المثير للدهشة جرأة هذا الشيخ على تفسير القرآن تفسيراً شاذاً على مزاجه هو أو مزاج شياطينه قبله ، هؤلاء الذين يوحون إليه ، أعنى سادته الصوفية ، وفى إطار جرأته يتعمد اللامبالاة بأصول التفسير القرآنى وقواعده ، بل حتى بأصول اللغة وقواعدها .

مثلا يزعم هذا الشيخ :

أن محمد - ﷺ - كان واسطة للرسل أجمعين ، من لدن آدم ، وحتى ظهوره - ﷺ - فى حالته البشرية ، وبه - أى الرسل - توسلوا ، والآية الكريمة : ﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ﴾ توضح ذلك ، فلفظة الناس تشمل الصنف البشرى من لدن آدم ، وحتى النفخ فى الصور ، ويؤيد ذلك قوله تعالى : ﴿ يا أيها النبى إنا إرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا * وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا * وبشر المؤمنين ﴾ فشاهد الشئ لابد أن يكون حاضرا ، وبشارته للمؤمنين أيضاً تشمل المؤمنين من لدن آدم ، حتى النفخ فى الصور .

من قال لك أيها الشيخ « العبقرى » إن المقصود بالناس الصنف البشرى من لدن آدم ؟ ومعنى تفسيرك للآية : ﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس ﴾ بهذ الطريقة ، إلغاء رسالات الرسل قبله - ﷺ - حيث تصبح لا معنى ، ثم كيف يستساغ أن تكون رسالة محمد - ﷺ - خاصة بالناس من لدن آدم ؟ معنى ذلك أنهم ناجون جميعا لأن الرسالة لم تبلغهم ، والقرآن يقول : «وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » .

ألم يقرأ الشيخ قوله تعالى : ﴿ قل ما كنت بدعا من الرسل ﴾ ﴿ إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده ﴾ ﴿ وأوحى إلى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ ﴾ ﴿ ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا ﴾ ﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك ﴾ .

ماذا يقول الشيخ البرهانى الذى يصر على أن محمدا أرسل للناس كافة منذ عهد آدم ، وإلى أن تقوم الساعة ؟ ماذا يقول فى قوله تعالى : ﴿ وأوحينا إليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا ﴾ .. ؟ أيريد منا الشيخ أن نلغى عقولنا حتى مع هذه الآيات البينات التى لا جدال فيها ؟؟

يقول الشيخ البرهانى :

« وهو - ﷺ - وسيلة كل الأنبياء ، فقد توسل به - ﷺ - أبونا آدم وسيدنا نوح ، وغيرهم » .. يقول عن آدم :

« عندما ذاق - عليه السلام - وزوجته أمنا حواء الشجرة .. هبطا إلى الأرض ، فنزل آدم فى الحجاز ، وحواء فى الهند ، فمكث آدم واحدا وأربعين يوما محتارا ، ثم ألهمه الله تعالى فتوسل إليه قائلا : اللهم إنى أسألك وأتوسل أليك بحبيبك محمد إلا ما غفرت لى » فنزل جبريل ، وقال له : إن المولى يقرئك السلام ، ويقول لك : كيف عرفت حبيبى محمدا ؟ فقال يارب لما نفخت فىّ الروح فتحت عينى ، ونظرت إلى ساق العرش فوجدت مكتوبا عليه : « لا إله إلا الله محمد رسول الله » وعندما أمرت بى للجنة وجدت مكتوبا على بابها : « لا إله إلا الله محمد رسول الله » فعلمت أنك لم تضف لاسمك إلا اسم أحب الخلق إليك ، فقال جبريل : نعم ، ويقول لك المولى : « ولولاه لما خلقتك » .

فإذا قلت لهذا الشيخ : لكن الله عز وجل يقول : ﴿ فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه ﴾ قال لك الشيخ : لقد كان محمد - ﷺ - وسيلة سيدنا آدم إلى الكلمات التى تلقاها فتاب الله عليه .. ولنفرض جدلا صحة ما يزعمه الشيخ ، أما كان أحرى بآدم آن يلتزم بما تلقاه من ربه من كلمات ، لاسيما وأن الشيخ قال بلا مصدر : إن الكلمات هى : « أستغفر الله العظيم .. هو التواب الرحيم » وهى - كما يقول : أساس الطريقة البرهانية الدسوقية الشاذلية ، وغيرها من طرق السادة الصوفية ، ألم تكن كلمات الله كافية حتى يلجأ آدم إلى كلسات أخرى من عنده ؟ ثم ألم يكن الله يعلم أن آدم قرأ ما قرأه على ساق العرش ، وعلى باب الجنة ، حتى يسأله : كيف عرفت حبيبى محمدا ؟؟

وإفلاس الشيخ البرهانى يسعفه بأن يجعل من أدلة الشعر الصوفى الهابط ، الذى يترنم ويتغنى به المجاذيب فى الأذكار والموالد :

أنت الذى لما توسل آدم   من ذنبه بك فاز وهو أبوك

والحق أن ابن الفارض والبرعى والمجذوب وغيرهم أمدوا التصوف بالكثير من الشعر المؤيد للخرافات والأباطيل .

هذا .. ويسوق الشيخ البرهانى قصته ، ويتخذ منها دليلا على أن محمدا - ﷺ - كان الواسطة بين الله ورسله ، وأن هؤلاء الرسل قبله جميعا توسلوا به إلى الله ، كما توسل أبوهم آدم ، ونحن نسجل هذه القصة الأخيرة لأنها بمثابة فكاهة لتسلية الذهن ، يقول الشيخ .

« ونسوق مثالا آخر من أمثلة التوسل فى مرتبة الإحصان فى أعلى مراتبها ، فعندما أراد المولى عز وجل أن يغرق قوم نوح ، وأرسل الطوفان بعد أن فار التنور ، وسال الماء من السماء كأفواه القرب .. حمل نوح قومه ، ومن كل زوجين اثنين كأمر الله ، ولما كان الحال كما وصفناه ، فإن احتمال الغرق كان كبيرا .. فتوسل نوح إلى المولى جل وعلا ، فأوحى إليه أن يكتب على سارية السفينة (أملخملمهد) وهو امتزاج اسم الجلالة « الله » مع اسم الرسول « محمد » - ﷺ - : حرف من الاسم الأول وحرف من الاسم الثانى ، ثم الحرف الثانى من الاسم الأول مع الحرف الثانى من الاسم

الثاني ، وهكذا .. كما أمره أن يكتب على جنباتها الأربع - أي السفينة الأسماء التالية : (رميز - خسر نور - يوخانز - عبد الناصر) وهي أسماء الخلفاء الراشدين الأربعة ، سادتنا وموالينا : أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، بالسريانية ، وهذه الأسماء الخمسة - يعني الرسول والخلفاء الأربعة على ما نظن ه المشار إليها في القرآن بالأعين ، من قوله تعالى : ﴿ تجري بأعيننا ﴾ وهي عيون الفيوضات الإلهية .. !!

وعجيب أن يكون اسم « عبد الناصر » لفظاً سريانيا .. ولكنه الهوس والهذيان ... »

ألم أقل لكم : إنها قصة طريقة مسلية - لولا إساءتها إلى العقيدة وإلى كتاب الله عز وجل ، الذي يجعل منه الشيخ البرهاني طلاسم ؟ وهذه القصة لا يمكن أن تكون إلا من تأليف إنسان يدمن المخدرات ، والعجيب أن هذا الشيخ مزود بأكبر طاقة من المكابرة . فيعقب على القصة الهزيلة ، المهلهلة بقوله : وإن أنكر المنكرون هذا التفسير الذي أجمع عليه أهل البصائر ، فليوافونا بماهية الأعين في القرآن الكريم ، ومثل هذا الهذيان من الشيخ أوهى من أ ن يرد عليه ، لولا أن هناك من الناس من خدع فيه ، وانطلى عليه هذيانه ، فالمفسرون العقلاء يفسرون لفظة « بأعيننا » أي تحت رقابتنا وبتوجيهنا ، فآية المؤمنون تقول : ﴿ فأوحينا إليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا ﴾ وآية « هود » ﴿ واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ﴾ ثم ما رأى الشيخ في قوله تعالى مخاطبا رسوله - ﷺ - ﴿ واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا ﴾ ؟ بناء على منطقه يكون الخلفاء الأربعة هم الواسطة بين الله والرسول .

ثم إن نوحا كان ينفذ أوامر الله عز وجل ، فكيف يتوقع احتمال غرق السفينة ؟ ألم يكن واثقا في حماية الله له ؟

إن الشيخ البرهاني من هواة الشطحات ، وجعل أكبر اهتمامه بالشعر الركيك المعقد ، والرخيص المهلهل ، بلا إشارة إلى قائليه غالبا ، وبلا أهمية لمضمونه أو مدلوله ، وأغلب الأحيان بلا مضمون أو مدلول سوى الهوس :

الكل فيه ، ومنه كان ، وعنده	تفنى الدهور ولم تزل أزمانه
ومنه ، به ، فيه ، نغوص لجوهر	نفيس على كل الأنام مغيب
كل ما في كل شئ	منك يا جد الحسين

هذه بعض الألغاز على سبيل المثال لا الحصر .

أما الشطحات فلها نصيب أوفر في شعر هذا الكتاب الآثم ، ويمثل شعر عبد الكريم الجيلي مركزا مرموقا ، هذا الذي يقول فيه الشيخ البرهاني : الإمام المحقق ، من أكابر العارفين ، وأئمة الصوفية المحققين ، السالكين على منهج الشيخ الأكبر سيدنا محيي الدين ، كل كتبه لا نظير لها في معناها .

والحمد لله فحسبنا دليل زيغ هذا الجيلي أن يكون على منهج شيخ الزائغين ابن عربي ، وحسبنا أن نذكر عبارات من افتتاحية لكتابه المسمى «قاب قوسين وملتقى الناموسين » .

يقول في سجع ركيك مصنوع :

« الحمد الله الذي جعل محمداً - ﷺ - مجلاه الأعز الأكمل ، الأفخر الأفضل ، الأمجد الأعظم ، محل نظره من العالم ، ومظهر ذاته من بني آدم ومرآة جماله وجلاله وكماله الأكمل الأقوم ، ترجمان صفاته إلى مخلوقاته بين الحدوث والقدم ، باللسان الأقدم ، أكمل كملاء الوجود المبهم ، طراز حلة الصورة والمعنى العلم ، تاج فرق الجمع المحكم ، واحد الدهر الأزلي المدغم ، سر الله في الوجود ، وخزانة الكرم والجود ، سلطان الحقيقتين ، وحقيقة الرقيقتين ، وواحد الوجهين ، وموصوف الوصفين ، وحاوي المعنيين، وحائز الكمالين ، من العين والأين ، المنفرد بالأكملية صورة ومعنى، صاحب قاب قوسين ، أو أدنى ... !

هذا نموذج سريع من كلام الشيخ الجيلى ، غاية فى الإسفاف والهذيان ، وبمثله نسئ إلى شخصية رسول الله - ﷺ - وإلى الإسلام ، وإلى عقول المسلمين ، أما شعره فهو أدهى وأمر :

عين الوجود وواحد الموجود	مجلى محاسن حضرة المعبود
وحقيقة الاسم الذى لصفاته	خضعت رقاب معاند وجحود
موحد فى كل فضل باهر	ووحيد فرد حقيقة التوحيد
كل الكمال عبارة عن خردل	متحقر فى عزه المصمود
شأن الإله وعين واحد ذاته	المحتبى بصعوده لسعود
مثال الملاحة نور ضوء جبينها	قد عم مسبوق الفنا بوجود
سعدت به الأكوان طرا إنما	بالأصل يسعد فرع كل سعيد
روح المعانى والأوانى جملة	معنى الوجود وصورة الموجود
ذاك النبى الهاشمى محمد	عبد الإله خليفة المحمود

هذا نموذج من كتب الشيخ الجيلى ، والتى يراها الشيخ البرهانى كتباً لا نظير لها .

أما الشطحات النثرية التى هى الهذيان ذاته فى هذا الكتاب الآثم ، فهى أكثر من أن تحصى .

ينقل لنا الشيخ البرهانى من كتاب « الثغر الدرى البسام ، فيمن يجهل من نفسه المقام ، وهو من أهل الرسوخ فى المقام » لمؤلفه من أسماه الشيخ : «العارف بالله السيد مصطفى البكرى ، إمام الطريقة الخلوتية وأحد أكابر الصوفية » وفيه يقول :

« إن نبينا لما ختم بمبعثه دائرة النبوة ، وأكمل حائطها المشيد بالفتوة ، كذلك ختم باب ولاية النبوة فى الظاهر ، وختم بعيسى ولاية النبوة فى الباطن ، وقد انختمت الولاية المحمدية الباطنية بسيدى محيى الدين - ابن عربى - وستختم الولاية المحمدية الباطنية والظاهرة بالإمام محمد المهدى المقدام .

ثم ساق إلينا ما قاله محيي الدين في « فتوحاته المكية » من أنه خاتم الولاية المحمدية الباطنية ، قال ابن عربي :

« إن رسول الله - ﷺ - حين ضرب لنا مثلا في الأنبياء ، فقال : « إن مثلي في الأنبياء كمثل رجل بنى حائطا فأكمله إلا لبنة واحدة ، فكنت أنا تلك اللبنة فلا رسول بعدي ولا نبي » وكنت بمكة سنة ٥٩٩هـ . رأيت فيما يرى النائم الكعبة مبنية بلبن فضة وذهب ، لبنة فضة ، ولبنة ذهبا ، فالتفت إلى الوجه الذي بين الركن اليماني والشامي ، وهو إلى الركن الشامي أقرب ، فرأيت موضع لبنتين ، لبنة فضة ولبنة ذهب ينقص من الحائط في الصفين ، فرأيت نفسي قد انطبعت في موضع تلك اللبنتين ، فكنت أنا عين تلك اللبنتين ، وكمل الحائط ، ولم يبق في الكعبة شئ ينقص ، وأنا واقف ، أنظر وأعلم أني واقف ، وأعلم أني عين تلك اللبنتين ، لا أشك في ذلك ، وأنهما عين ذاتي ، واستيقظت فشكرت الله ، وقلت متأولا : إني في الأتباع في صنفي كرسول الله في الأنبياء ، وعسى أن أكون ممن ختم الله الولاية بي ... فقصصت رؤياي على بعض علماء هذا الشأن بمكة من أهل تبريز ، فأخبرني في تأويلها بما وقع لي ، وما سميت له الرائي من هو » .

ويعقب الشيخ البكري بقوله :

« وفي كل عصر لابد من وجود ختم ، يختم الله به دائرة أولياء عصره ، وتارة يكون هو القطب ، وتارة يكون غيره ، ومقامه مقام الختام ، وأصول مقاماته على التمام ، وله الظهور فيها جميعها بدون إبهام ، وسيره بالكشف ، وإشاده بالرشف ، جاز علم مراتب الوجود ، وحازفهم أسرار الشهود ، فكانت « الخاء » و « التاء » عدد أصول مقاماته التي اطلع عليها ، والميم لمراتب الوجود التي أوصله الكشف للوقوف على أسرارها ، والوصول إليها ، يخفي حاله على كثير من الأولياء ، فكيف لا يخفى على الأغبياء ... !

وأقول : والله إنكم لأنتم الأغبياء ، ولأنتم أهون من أن تتهموا بالسفه والجنون ، إنكم أشبه ما تكونون بالسكارى والمخمورين ، إن الشيخ البكري يقول : في كل عصر لابد من وجود ختم » فمن أين للشخ البكري ومن هم

على شاكلته أن يقول : « لابد » هذه ؟ إنهم دويلة تعيش فى دنيا السفهاء والمجانين .

وهذا البلخي هو الآخر :

ينقل لنا « اليافعي » في جواهره كما يقول الشيخ البرهانى ، قصة هذا البلخي على لسانه ، يقول :

« سافرت من بلخ إلى بغداد وأنا شاب ، لأرى الشيخ عبد القادر الجيلانى، فوافيته يصلى العصر بمدرسة ، وما كنت رأيته ولا رآنى قبل ذلك ، تقدمت إليه وصافحته ، فأمسك بيدى ونظر إلى مبتسما وقال : مرحبا بك يا بلخي ، يا محمد ، قد رأى الله سبحانه مكانك وعلم نبتك . . فلما كان ذات ليلة مظلمة ، فبرز لى من قلبى شخصان ، بيد أحدهما كأس ، وبيد الآخر خلعة ، فقال لى صاحب الخلعة : أنا على بن أبى طالب وهذا أحد الملائكة المقربين ، وهذا كأس شراب المحبة ، وهذه خلعة من خلع الرضا ، ثم ألبسنى تلك الخلعة ، وناولنى صاحب الكأس ، فأضاء بنوره المشرق والمغرب ، فلما (شربته) كشف لى عن أسرار الغيوب ، ومقامات الأولياء، وغير ذلك من العجائب ، فكان مما رأيت مقاما تزل أقدام العقول فى سره ، وتضل أفهام الأفكار فى جلاله . . فمكثت مدة لا أستطيع النظر إليه ، ثم طوفت النظر إليه ، ومكثت مدة لا أستطيع أن أسامته ، ثم طوفت مسامتته . ثم بعد مدة علمت بمن فيه ، فإذا فيه رسول الله - ﷺ - وعن يمينه آدم وإبراهيم وجبريل ، وعن شماله نوح وموسى وعيسى ، وبين يدبه أكابر الصحابة ، والأولياء قيام على هيئة الخدم ، فإن من أقرب الصحابة إليه - ﷺ - أبو بكر ، ومن أقرب الأولياء إليه الشيخ عبد القادر .

ثم بدت لى بارقة من نور القدس الأعظم ، فغيبنى عن كل مشهود واختطفنى من كل موجود ، وأسقطت من التمييز بين كل مختلفين ،وأقمت على هذا الحال ثلاث سنين ، فلم أشعر إلا وأنا فى « سامراء » والشيخ عبد القادر قابض على صدرى ، وإحدى رجليه عندى ، والآخرة ببغداد ، وقد عاد إلى تمييزى ، وملكت أمرى ، فقال لى الشيخ : « يا بلخي » قد أمرت أن أردك إلى وجودك ، وأملكك حالك . . ثم أخبرنى بجميع

مشاهداتى وأحوالى ، من أول أمرى إلى ذلك الوقت إخبارا دل على اطلاعه على فى كل نفس ، وقال لى : لقد سألت رسول الله - ﷺ - سبع مرات حتى طوفت النظر إلى ذلك المقام ، وسبع مرات حتى طوفت مسامتته ، وسبع مرات حتى اطلعت على من فيه ، وسبع مرات حتى سمعت المنادى ، ولقد سألت الله تعالى فيك سبع مرات وسبع مرات حتى ألاح لك تلك البارقة ، وكنت من قبل ، سألته فيك سبعين مرة حتى سقاك كأسا من محبته ، وألبسك خلعة رضوانه .. يا بنى : اقض جميع ما فاتك من الفرائض .. !

ما عساى أن أقول معقبا على مثل هذا الهذيان المسف الذى ينقله لنا الشيخ البرهانى فى كتابه الآثم ؟ إن العقل لمضطر إلى التوقف عن التعقيب رحمة بأعصابنا ، أى نصح يقدمه للأمة الشيخ البرهانى بمثل هذا الهذيان ؟؟ .

مزيــدا مـن الشـطحـــات

إن الشـيخ البـرهانى مغرم ومتـيم بالشـيخ عـبـد الوهاب الشـعـرانى ، ولاسيمـا فى مؤلفه المسـف الهابـط « الأخلاق المتبولية » ومؤلفـه الآخر « الطبقات » فهذا الرجل فى كثير من مؤلفاته أساء أكبر إساءة إلى الإسلام عقيـدة وفكرا ومنهجا ، فقد حشاها بما لا يقره دين ولا عقل ولا منطق ، والحق أن الشيخ الشعرانى كان كحاطب ليل يهمه كثرة النقل والحشو دون تمييز ، ولقد كان به هواية بهذا النقل وذاك الحشو تشيعا للصوفية وتعصبا ، والذى يتـابع معظم مؤلفاته محايدا ، لا يخامره أدنى شك فى أن بعقل الرجل خللا ، وإنصافا للرجل لا ننكر أنه كان على قدر من العلم والفقه والاطلاع .

أما الشيخ البرهانى الدسوقى الشاذلى فهو من الأدعياء ، ليس على أدنى شئ من العلم والفقه والاطلاع ، لقد حشا كتابه المسف الهابط « تبرئة الذمة فى نصح الأمة » بالخرافات والأساطير والهذيان والسفه ، دون أن يبذل جهداً ذهنياً على الإطلاق ، فما أكثر كتب الصوفية المنحرفة التى يغترف منها ما شاء له أن يغترف ، وحتى فى اغترافه يأبى إلا أن يفضح نفسه ويكشف عن جهله ، وأعتقد أن إحساسه بذلك هو الذى دفعه فى كل صفحة من صفحات كتابه تقريبا إلى أن يكيل السباب وعبارات التجهيل لعلماء السنة ، وربما كان له عذره ، فهو شيخ طريقة صوفية هابطة يرتزق منها ويعيش ـ على حساب السذج والجهلة ـ كما كان يعيش الأكاسرة والأباطرة ، على حساب الشعوب .

أغرم الشيخ البرهانى ـ مقلدا للشعرانى ومن هم على شاكلته من المتصوفة ـ بنقل القصص الملفقة والروايات المختلقة عن لقاءات لا حصر لها بين الرسول ـ ﷺ ـ والعديد من المتصوفة ، تمت يقظة ومشاهدة أحيانا ، وأحيانا أخرى رؤى وأحلاما ، والشيخ ينقل هذه القصص العجيبة ومن مصادر صوفية هابطة لا وزن لها ، ولذلك يسهل عليك أن تشم منها رائحة التلفيق والترقيع .

فى طبقات الأولياء لابن الملقن ، قال الشيخ عبد القادر الكيلانى : «رأيت رسول الله - ﷺ - قبل الظهر ، فقال لى : يا بنى لم لا تتكلم ؟ قلت : يا أبتاه أنا رجل أعجمى ، كيف أتكلم على فصحاء بغداد ؟ فقال : افتح فاك : ففتحته ، فنفل فيه سبعا ، وقال : تكلم على الناس ، وادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، فصليت الظهر ، وجلست ، وحضرنى خلق كثير ، فأرتج على ، فرأيت عليا قائما بإزائى فى المجلس ، فقال لى : يابنى لم لا تتكلم ؟ قلت يا أبتاه قد أرتج على . فقال : افتح فاك ، ففتحته ، فتفل فيه ستا ، فقلت : لم لم تكملها سبعا ؟ قال : أدبا مع النبى - ﷺ - ثم توارى عنى ، فقلت : غواص الفكر يغوص فى بحر القلب على دار المعارف فيستخرجها إلى ساحل الصدر ، فينادى عليها ترجمان اللسان ، فتشترى بنفائس أثمان ، حسن الطاعة فى بيوت أذن الله أن ترفع . . » .

أليس هذا هو الهوس بعينه ؟ كيف عرف هذا السفيه أن الذى تفل فيه سبعا هو رسول الله ، وأن الذى تفل فيه ستاً هو علىّ ، مع أنه كان يخاطب كليهما بـ يا أبتاه ؟ ولو فرضنا جدلا صحة الرواية ، أفليس سوء أدب أن يكون الرسول دون منزلة على ؟

وفى نفس المصدر السابق :

« وكان الشيخ خليفة بن موسى النهر ملكى ، كثير الرؤية لرسول الله - ﷺ - يقظة ومناما ، فكان يقال : إن أكثر أفعاله متلقاة منه - ﷺ - بأمر منه إما يقظة وإما مناما ، ورآه فى ليلة واحدة . . سبع عشرة مرة ، قال له فى إحداهن : يا خليفة : لا تضجر منى ، كثير من الأولياء مات بحسرة رؤيتى ؟؟

أليس هذا سفها لا يحتاج إلى تعليق ؟؟

وفى كتاب « التوحيد » للشيخ عبد الغفار بن نوح القوصى - من المجاهيل . . !

« ومن رأيته بمكة الشيخ عبد الله الدلامى ، أخبرنى أنه لم تصح له صلاة فى عمره إلا صلاة واحدة ، قال : وذلك أنى كنت بالمسجد الحرام فى صلاة الصبح ، فلما أحرم الإمام وأحرمت ، أخذتنى أخذة ، فرأيت النبى - ﷺ -

يصلى إماما وخلفه العشرة - أى المبشرين بالجنة - فصليت معهم ، فقرأ فى الركعة الأولى سورة المدثر ، وفى الثانية : عمّ يتساءلون ، فلما سلم ، دعا بهذا الدعاء . . . »

ياللضيعة عمر هذا الأخرق ، وبالضيعة الشريعة فى دنيا هؤلاء المعتوهين . . . !

وفى كتاب « مزيل الشبهات فى إثبات الكرامات » لابن باطيس « من المجاهيل » .

« قال أبو طاهر بن العلان : حضرت أبا الحسين بن سمعون يوما فى مجلس الوعظ ، وهو جالس على كرسيه يتكلم . . . فكان أبو الفتح القواس جالسا إلى جنب الكرسى ، فغشيه النعاس ونام ، فأمسك أبو الحسين ساعة عن الكلام حتى استيقظ أبو الفتح ورفع رأسه ، فقال له أبو الحسين : رأيت النبى - ﷺ - فى نومك ؟ قال : نعم ، قال أبو الحسين : لذلك أمسكت عن الكلام خوف أن تتزعج وينقطع ما كنت فيه » .

يقول الشيخ البرهانى : فهذا يشعر بأن ابن سمعون رأى النبى - ﷺ - يقظة ، لما حضر ، ورآه أبو الفتح فى نومه . . .

ويستمر الشيخ البرهانى فى هذا السفه فينقل إلينا عن كتب مجهولة ، ومؤلفين أكثر جهالة من المستغرقين فى الجهل ، عددا آخر من القصص الملفقة :

كان بمكة رجل يعرف بابن ثابت ، قد خرج من مكة إلى المدينة ستين سنة ، ليس إلا للسلام على رسول الله - ﷺ - ويرجع ، فلما كان فى بعض السنين تخلف لشغل أو سبب ، فقال : فبينما هو قاعد فى الحجرة بين النائم واليقظان ؛ إذ رأى النبى وهو يقول له : يا ابن ثابت لم تزرنا فزرناك . . !

الشيخ أبو العباس الحراز :

« دخلت على النبى - ﷺ - مرة فوجدته يكتب مناشير للأولياء بالولاية ، وكتب لأخى محمد منهم منشورا » .

قال : وكان أخو الشيخ « المذكور » كبيرا فى الولاية ، كان على وجهه نور لا يخفى على أحد أنه ولى ، فسألنا الشيخ عن ذلك ، فقال . نفخ النبى - ﷺ - فى وجهه فى فأثرت النفخة هذا النور . . . !

الشيخ أبو عبد الله القرطبى :

كان أكثر إقامته بالمدينة المنورة ، وكان له وصلة بالنبى - ﷺ - وأجوبة ورد للسلام ، حمله رسول الله رسالة للملك الكامل ، وتوجه بها إلى مصر ، وأداها وعاد إلى المدينة .. !

أحد الأولياء :

حضر مجلس فقيه ، فروى ذلك الفقيه حديثا ، فقال له الولى : هذا الحديث باطل ، فقال الفقيه : ومن أين لك هذا ؟ فقال : هذا النبى - ﷺ - واقف عند رأسك يقول : لم أقل هذا الحديث ، وكشف للفقيه فرآه .. !

على الوفائى :

« كنت وأنا ابن خمس سنين أقرأ القرآن على رجل يقال له الشيخ يعقوب ، فأتيته يوما ، فرأيت النبى - ﷺ - يقظة لا مناما ، وعليه قميص أبيض قطن ، ثم رأيت القميص علىّ، فقال لى : اقرأ .. فقرأت عليه سورة « والضحى » وسورة « ألم نشرح » ثم غاب عنى، فلما أن بلغت إحدى وعشرين سنة أحرمت لصلاة الصبح بالقرافة، فرأيت النبى - ﷺ - قبالة وجهى، فعانقنى ، وقال لى : وأما بنعمة ربك فحدث ، فأوتيت لسانه من ذلك الوقت ».

إمرأة هاشمية :

كانت مجاورة بالمدينة ، وكان بعض الخدم يؤذيها ، قالت : فاستغثت بالنبى - ﷺ - فسمعت قائلاً من الروضة يقول : «أما لك فىَّ أسوة ؟ فاصبرى كما صبرت » أو نحو هذا - قالت : فزال عنى ما كنت فيه ، ومات الخدام الثلاثة الذين كانوا يؤذوننى .. !!

أحمد الرفاعى :

حج إحدى السنين ، فلما وقف تجاه الحجرة الشريفة أنشد :

فى حالة البعد روحى كنت أرسلها ... تقبل الأرض عنى وهى نائبتى

وهذه دولة الأشباح قد حضرت ... فامدد يمينك كى تحظى بها شفتى

فخرجت إليه اليد الشريفة من القبر الشريف، فقبلها ..

أبو عبد الله الأسوانى :

كان يخبر أنه يرى رسول الله - ﷺ - فى كل ساعة ، حتى لا تكاد ساعة تمر إلا ويخبر عنه . . . !

فكرت فى أن لا داعى للتعليق أو التعقيب على هذا السفه ، حتى لا يتوهم إنسان ما ، أننا نضفى عليه شيئاً من الأهمية أو الاهتمام ، فما أكثر ما يتفوه المخمورون ومدمنو المخدرات بكلام يتطاير فى الهواء ، والعقلاء هم الذين لا يسمحون لآذانهم بالإصغاء إليه ، أما الصبية الصغار ، فقد يستمعون إلى مثل الهذيان ويتسلون بقصصه ، لغرامهم بسائر الأساطير والخرافات .

لكن المسألة مأساة لها ارتباط بالعقيدة والشريعة ، وليس من المعقول أن يترك لهذه الغوغائية أن تبتدع دينا جديداً ليس له أدنى ارتباط بدين الله عز وجل الذى رضيه الله لعباده .

ولو أن هذا الهوس قاصر على دولة الدراويش لهان الأمر ، لكن المأساة تتجاوز هذه الحدود ، أجل نحن لا يهمنا أن يدعى المخمورون أنهم يلتقون بالخضر يقظة ويتلقون منه . . لكن حين يزعمون لقاءات مع الرسول وأنهم تلقوا منه ، وأكثر من هذا أنهم يصححون عليه الأحاديث ، تصبح المسألة لا يمكن السكوت عليها .

ومنذ سنوات شاهدت بعينى ، وسمعت بأذنى فى حلقة من حلقات « نور على نور » بالتليفزيون ، شيخين أزهريين كانا أستاذين فى كلية أصول الدين ، ووصل أحدهما إلى عمادة إحدى كليات أصول الدين ، والآخر كان يتربع يومها على كرسى بمكتب شيخ الأزهر بدرجة وكيل وزارة ، قال هذان الشيخان : إن الإمام البخارى كان يصحح أحاديثه على رسول الله - ﷺ - فى المنام .

إنها إذن لمصيبة وأية مصيبة .

إذا كان الرسول يقف فى المسجد ليرد على فقيه - على لسان صوفى معتوه ، كما مر بك - فلم أتعب علماء الحديث أنفسهم ودونوا لنا علم الحديث ، ألم يكن فيهم من يليق بلقاء رسول الله ولو فى المنام ؟

إن الله تعالى يقول مخاطبا رسوله : ﴿ إنك ميت وإنهم ميتون ﴾ لا فرق على الإطلاق فى تنفيذ سنة من سنن الله وهى سنة الموت ، معنى هذا أن الرسول - ﷺ - مات كما يموت سائر البشر ، وانقطعت صلته بالحياة كما تنقطع صلة البشر بالحياة بعد موتهم .

ألم يتعرض خيار أصحابه - بعد موته - للخلاف فى الرأى ؟ هل يجرؤ إنسان على أن يدعى أن رسول الله التقي بهم مناما أو يقظة ليفض ما بينهم من خلاف ؟ هل خيار أصحاب رسول الله أقل منزلة عند الله وعند رسول الله من هؤلاء السفلة من الصوفيين ، حتى أن رسول الله يلتقى بهؤلاء ولا يلتقى بأولئك ؟

كان عمر - إذا عرضت له بعض الأمور فى خلافته - يقول : ليتنى سألت رسول عن كذا وكذا ، بل إن ابنته - ﷺ - فاطمة أحب الناس إليه ، قد عرض لها ما عرض من أسي بشأن أمر فدك ، حتى لقد عاشت فى قطيعة بينها وبين خليفة رسول الله أبى بكر بسبب ذلك حتى لقيت ربها ، أما كانت فاطمة رضى الله عنها ، أحق الناس بلقاء أبيها يقظة أو مناما ، ويهون عليها ما أصابها ؟ .

أوهام وأباطيل

﴿ وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَن ضَلالَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلاَّ مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴾

(سورة النمل ـ ٨١)

إن الشيخ البرهانى الدسوقى الشاذلى بارع فى انتقاء القصص من الكتب الصوفية المخرفة ، وبارع أيضاً في تأليف هذه القصص ، وبارع ثالثاً فى طريقة الاقتباس ، وكان خيراً له وراحة للإسلام ولعقيدة المسلمين الصحيحة ، لو أنه اشتغل مؤلفا مسرحيا ، لأن التأليف المسرحى لايحتاج إلى الالتزام بقواعد الأخلاق ، ولا بالأمانة التاريخية ، والحق أن الشيخ البرهانى فى كتابه الآثم « تبرئة الذمة فى نصح الأمة » أشبه ما يكون بالممثل المسرحى الذى يخرج على النص ، وخروجه على النص هو إحدى مواهبه ، بل أبرزها .

ففى كتابه الآثم ، لم يبال على الإطلاق ، المنطق ولا أصول اللغة ، ولا اعتبار التاريخ ، فالمهم لديه هو التركيب الملفق لقصصه المهلهلة ، التى تسخر من عقولنا ، والحل الوحيد لكى نهضم أباطيلة هو أن نلغى عقولنا إذا فرض علينا أن نقرأ مثل كتابه الآثم هذا ، ونحن نسوق بعض الأمثلة على سبيل المثل لاعلى سبيل الحصر .

يقول الشيخ البرهانى بلا ذكر لمصدر قوله :

● « وروى أن سيدنا أبيّ بن كعب ، وقف مرة وشتم يزيد بن معاوية فى وجهه ، وكانت إحدى رجليه ضعيفة ، فقال له يزيد : « اسكت يا حثالة الصحابة ، فغضب سيدنا أبى وقال ليزيد : أتزدرى بى يا ابن معاوية وأنا من أصحاب رسول الله ؟ ولو كان أبوك معاوية حاضرا لقطع رأسك .. ويا سبحان الله ! هل كان فى أصحاب رسول الله - ﷺ - حثالة ؟ وقال : وإنى والله لو أشرت إلى هذا الحبل لرقص ، وكان يشير إلى حبل بيده أثناء حديثه - دون قصد - فرقص الحبل حقاً ، وخاف يزيد ، وانصرف من المجلس جاريا .. »

وحسبنا أن نذكر - فحسب - أن أبى بن كعب رضى الله عنه ، توفى عام ٢١ هـ وأن يزيد بن معاوية ولد عام ٢٥ هـ .

أيمكن أن تكون هذه القصة صحيحة حتى نقتنع بها ؟ أجل يمكن ، ولكن بشرط أن نلغى عقولنا أولا .. !

● فى موقعة الجمل ، عمد على كرم الله وجهه إلى قوائم الجمل الذى كانت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها تركبه فبترها بسيفه ، فمال الهودج واقعا ، وفى هذه الأثناء بالذات ، وصل أخوها عبد الرحمن بن أبى بكر

وأدركها قبل أن تقع على الأرض ، وعندما مس جسده جسدها صاحت قائلة : « من ذا الذى يمس جسداً كان يمسه رسول الله ﷺ أحرق الله جسده بالنار .. فقال لها : قولى نار الدنيا يا أختاه فقالت : نار الدنيا ..

إلى هذا الحد يمكن أن تكون القصة مقبولة ، ولكن الهدف منها هو ما بعد القصة من تأليف الشيخ البرهانى إذ يقول :

« ومن الغريب أن رجال الآثار بنوا حى صعيد مصر قد اكتشفوا جثة رجل محروقة فى جلد ثور ، واستدلوا بهذه الواقعة وغيرها من القرائن ، على أنها جثة عبد الرحمن بن أبى بكر ، بعد قتله فى إحدى المواقع فى سبيل نشر الدين ، وحرق جسده بهذه الصفة حسب دعوة السيدة عائشة عليه ، فيالها من دعوة ما أسرع إجابتها ، وفى ذلك المكان بنوا له قبة ومسجداً ، وقبره موجود هناك يزار حتى الآن .. »

ونحن نصدق أن هناك فى صعيد مصر مسجداً باسم عبد الرحمن بن أبى بكر وضريحا يزار ، ما دام الجهل بخير ، وما دامت الخرافة تجد طريقها ميسراً إلى عقول السذج والبسطاء ، ولأهمية للاستشهاد برجال الآثار ، ما دامت القصة ملفقة من أساسها ، لكن الذى لايمكن تصديقه بوقائع التاريخ أن عبد الرحمن بن أبى بكر ،لم يحضر إلى مصر ولم يستشهد فوق أرضها فى موقعة - كما زعم الشيخ - والذى حضر إلى مصر وقتل بها هو محمد بن أبى بكر ، ولاه على كرم الله وجهه مصر ودارت بينه وبين جيش، عمرو بن العاص معركة ، قتل فيها محمد بن أبى بكر صبرا وقيل غير ذلك ، أما عبد الرحمن فقد توفى ودفن قرب مكة .

ولا يتورع الشيخ البرهانى عن الافتراء على أخص أصحاب رسول الله .. يزعم أن عمر بن الخطاب أصابه مرض الرطوبة - وكان بالشام وقت فتحها فثقل جسده ، فقال : أتونى بأبى الحسن ، فلما جئ به قال : ما الذى دهاك ياعمر ؟ فقال : إننا فى الجهاد كما تعلم وقد ثقل جسدى ، فبادره كرم الله وجهه : هلا توسلت بأحب الخلق إليك ؟ فتهلل وجه عمر وقال : وامحمداه .. وامحمداه .. وامحمداه .. فكان كأنه نشط من عقال ..

والقصة مختلقة ومن افتراءات المتصوفة ، فما كان عمر يلجأ إلى غير الله ، وعمر زار الشام بعد أن استقر الفتح الإسلامى هناك ولم يشترك على فى الجهاد فى فتح الشام ، فمن أين لهؤلاء الحمقى هذه الرواية ؟؟.

● يزعم الشيخ البرهاني أن نفرأ من أصحاب رسول الله وفيهم على ، قصدوا عثمان أيام خلافته ، وطلبوا منه أن يسافر إلى الأمصار ليرى بنفسه ما وصلت إليه الأحوال من سوء ، ولكى يعظ الولاة ، فتغير وجه عثمان وقال مخاطبا عليا :

« يا أبا الحسن : كنت أظن أنك أولى الناس بى اليوم ، فكيف تأمرنى بفراق قبر رسول الله - صلوات الله وسلامه عليه - ؟ والله لأرضى أبداً ، أن أذهب إلى الأمصار فى أمر الدنيا ، وأنت تعلم أننى قد وضعت جوارح .. وكبرت سنا .. أما أنا فوالله لاأقدر على فراق قبر رسول الله أبداً .. »

بماذا يعقب الإنسان على هذا الافتراء الجرئ .. ؟ هل المكوث بجوار قبر الرسول أهم من مصالح الإسلام والمسلمين ؟ لم قبل الخلافة إذن وهو يعلم أن الله سائله عن الرعية ؟؟

● تحت عنوان « الغيب ومراتبه » يبدأ الشيخ البرهانى - كعادته - بالتطاول والبذاءة فيقول :

« ينكر أصحاب العقائد الفاسدة على الأولياء علم الغيب ، ويقولون : إن الله تبارك وتعالى هو الذى يعلم الغيب وحده ..

ولقد فات عليهم أمران : أولهما ، أنه ليس هناك غيب عليه - تبارك وتعالى - فالغيب والشهادة عنده فى حد سواء .. فلو كان هناك غيب عليه ، لتعين وجود إله آخر يعلم ذلك الغيب .. وثانيهما ، أن الآيات الواردةفى القرآن الكريم عن الغيب إنما أنزلها - جل وعلا - فى شأن الرسل والأنبياء والأولياء والعلماء العاملين ، فقد قال - تبارك وتعالى : ﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً * إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا ﴾

كان خيراً لهذا الشيخ لو سكت ، إنه يحاول أن يتفلسف ولاأهمية لأن تجئ فلسفته عرجاء ، فمن قال :إن هناك غيبا على الله ؟ إن الغيب على سواه من سائر مخلوقاته : ﴿ قل لايعلم من فى السموات والأرض الغيب إلا الله ﴾ وهل قول الله تعالى : ﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول .. ﴾ يشير إلى أن الاستثناء يشمل الأولياء والعلماء العاملين ؟ .. إن كلمة رسول لاتعنى إلا الملك من الملائكة : فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا »

ويأبى الشيخ البرهاني إلا يتمادى في مكابرته ، وفي إصراره على الجهل ، فيقول :

« فظاهر هذه الآية يؤيد بما لايدع مجالا للشك أن الله تعالى يمن بإظهار رسله وأنبيائه على غيبه : . ومن ثم نخلص إلى أنه يظهر أيضاً أولياء على غيبه لأنهم ورثة أنبيائه ورسله ، كما قال الصادق المصدوق الذى لاينطق عن الهوى - ﷺ - : علماء أمتي كأنبياء بنى إسرائيل » وكقوله العلماء ورثه الأنبياء » .

الحديث الأول واه ، والحديث الثاني صحيح ، ولما كان الثاني لايسعفه لجأ إلى حيلة يبلغ بها غايته ،فهو يرى أن من حقه - كعالم لدني - ولو كان هذا مجرد زعم مثير للضحك - أن يفسر القرآن والحديث على مزاجه ، ضاربا عرض الحائط بقواعد التفسير ، والمنطق والعقل واللغة ، وما دمنا نعترف بأن حديث « العلماء ورثة الأنبياء » حديث صحيح ، فلابد أن يكون العلماء هم الأولياء ، أو الأولياء هم العلماء ، ولا مانع من جواز إطلاع الله إياهم على الغيب ما داموا ورثة الأنبياء الذين يطلعهم على بعض الغيب » لذلك يصر الشيخ البرهاني على المكابرة فيقول :

« ولكي نثبت أن العلماء هم الأولياء ، نقول : إن الرسول قد قال هذين الحديثين (أى السابقين ، وأحدهما منكر) بعد نزول الآية الكريمة ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ وربطهما بقوله :﴿ ما اتخذ الله وليا جاهلا ، ولو اتخذه لعلمه ﴾ ومن هنا نعلم أن العلماء المقصودين في القرآن والحديث الشريف هم الأولياء ، لا غيرهم ، لأن كل من سواهم يعرف فناً معيناً من الفقة أو السير أو التفسير أو الحديث أوغيرها من علوم الظاهر أو بعضها مجتمعا ، وأما الأولياء فيجمعون كل العلوم ظاهرها وباطنها ، علم اليقين وحق اليقين .. فهم أولى بإطلاق لفظ العلماء عليهم من غيرهم ، إذ أنهم يأخذون علومهم أولا من إلهام الملائكة ، ثم من مشايخهم وأعلى من ذلك أخذهم من رسول الله ، وأعلى من كل ذلك ، من الله وحده جل جلاله كما يقولون :

أخذت العلم عن ذاتي وبالإسناد عن ربي
وأشياخي إشاراتي بُدَوْا من داخل الحجب

وأود أن أقول أولا ، إن حديث « ما اتخذ الله وليا جاهلا ، ولو اتخذه لعلمه »حديث منكر لاأصل له ، أما بقية كلام الشيخ البرهانى فمجرد هراء لا يتقنه إلا أمثاله من المشعوذين ، وجرأة على الله ورسوله لايجترها إلا من تجردوا من العقل والحياء معا ، فأصحاب رسول الله هم فى المرتبة الأولى بعد الرسول ، تلقوا العلم عن الرسول . حفظوا القرآن وحفظوا أحاديث رسولهم ، وجاء التابعون بعدهم فتلقوا العلم عنهم ، وكانوا أصحاب مدارس فى علوم الشريعة ، ولم يدع واحد من أصحاب الرسول أو التابعين أو تابعى التابعين ، أو الرعيل الأول من الفقهاء والمحدثين أن علمه ذاتى أو لدنى . . ومع ذلك يواصل الشيخ البرهانى اجترار هوائه المثير للسخرية فيقول :

« ومن الغريب فى هذه المسأله ، أن الله تبارك وتعالى قد جمع علم ما كان وما يكون فى كتابه العزيز ، مصداقا لقوله تعالى : ﴿ ما فرطنا في الكتاب من شئ ﴾ وهم - أى الأولياء - متحققون بفهم القرآن لايدانيهم فى ذلك سواهم ، لتخلقهم به ، ولهم فى ذلك أسوة حسنة برسول الله . .

وعلى ذلك - كما يقول الشيخ - فإن ورثة الأنبياء هم الأولياء ، والوراثة لابد أن تكون كلية . . »

لقد سود البرهانى عدة صفحات هى خليط من الهذيان والخروج عن الموضوع الذى نحن بصدده ، وهذه طبيعته كلما أحس بالإفلاس شرق وغرب ، وسب وتطاول . . إلى أن قال : « إن الكمل من البشر من رسول ونبى وصحابى وولى يعلمون الغيب الذى لايطلع عليه الملائكة ولاغيرهم . . وحاصل الأمر ، أن النبى يعلم ما كان ، وما هو كائن ، وما سيكون إلى يوم القيامة . . »

وحسبنا هذا الجهل والتجاهل ، وآيات القرآن لاتحتاج إلي أدني جدل :
﴿ قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ الأنعام ٥٠
﴿ قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ الأعرف ١٨٨

أيسر شئ لدى هذا الشيخ البرهاني الدسوقي الشاذلي هو الكذب بل الجرأة على الكذب ، فهو يسوق القصص والروايات التي هي أقرب ما تكون إلى قصص « ألف ليلة وليلة ورواياتها على أنها وردت في الصحاح ، إيهاما للقارئ الساذج ولكن أي كتاب من كتب أحاديث الصحاح وردت فيه القصة أو الرواية ، فهذا مالا يجرؤ الشيخ على ذكره إنه مجرد كلام يلقيه على عواهنه ، وما دام أتباعه الحمقى يتوهمونه إماما معصوما ، فلا ضير عليه ولا على أتباعه ، ويؤسفني أن أضطر إلى نقل روايته المختلقة من أساسها بنصها كما وردت في صفحتي ١٥ ، ١٦ من الكتاب ، ليتأكد لدى القارئ دجل الشيخ وافتراؤه :

« كما أن الأنبياء والرسل الأحياء المنظرين لظهور المهدى المنتظر ، وهم : سيدنا عيسى ، وسيدنا إلياس ، وسيدنا إدريس ، وسيدنا الخضر - مع الاختلاف في نبوته - كل هؤلاء .. يتعبدون بشريعة النبي - ﷺ - كما ورد ذلك في الصحاح . فمن ذلك أن النبي - ﷺ - كان ذاهبا لقضاء الحاجة ومعه أنس بن مالك ، وهو يحمل الركوة - وهي إبريق من الجلد - وبينما هما سائران إذ سمعا دويا في جبل أبي قبيس ، فقال الرسول - ﷺ - : يأأنس ، اذهب إلى هذا الجبل وائتني بالخبر .. فذهب أنس إلى غار في الجبل ، فوجد رجلا طويل القامة فحياه ، فرد عليه التحية ، وقال : يا أنس بن مالك : أأنت رسول الرسول ؟ فقال له : نعم ، فقال له الرجل : اذهب إلى صاحبك وقل له : إن أخاك إلياس ينتظرك .. فأتى أنس إلى النبي - ﷺ - وأخبره بما جرى فدخل النبي إلى الغار ، وانتظر أنس خارجه ، وبعد مدة طويلة صاحا له ليدخل عليهما فدخل ، فوجد أمامها أكلا وشرابا فطلبا منه أن يأكل معهما فأكل معهما وخرج ..

فمكث النبي - ﷺ - مع إلياس برهة ثم خرج ، فأعطاه أنس الركوة ليقضي الحاجة ..قال أنس : « رأيت سحابة نزلت فركب عليها الرجل وراحت ، وعند رجوعهما ، سأل أنس النبي - ﷺ - قائلا : من هذا الرجل يا رسول الله ؟ فقال - ﷺ - : هذا هو نبي الله إلياس وهو رسول من بني إسرائيل .. فقال أنس : أهو حيي يا رسول الله ؟؟ فقال : (بلى)

قال - أي إلياس - جاءني عزرائيل وساق روحي إلى أن بلغت الحلقوم ، فبكيت فنزل جبريل فقال لي : « يقول ربك ما الذى يبكيك ؟ أحبا في الدنيا أم كرها للقائي ؟ فقلت : يارب لاهذا ولاذاك ، ولكن صحائفي تطوى بعد الموت .. فيذكرك الناس ويحمدونك ويمجدونك .. فقال جبريل

: يقول لك ربك : لأحيينك في الأرض حتى لايذكرني فيها أحد ..

قال أنس : فقلت يارسول الله : على شريعة من يتعبد ؟ فقال - ﷺ - : على شريعتى ، حتى أنه يحج كل سنة ، وبعد الانتهاء يقص للخضر شعره، كذلك يقص له الخضر شعره ، ثم يتصافحان ، ويودع كل منهما الآخر ، ويقولان : سبحان الله لا يسوق الخير إلا الله .. سبحان الله ، لا يصرف السوء إلا الله .. !!

لاأعتقد أن القارئ - ولو شبه مثقف - يحتاج إلى إجهاد ذهن حتى يكشف اختلاق هذه القصة ، إذ كيف يسأل أنس النبى - ﷺ - : من هذا الرجل يا رسول الله ؟ مع أن الرجل قال لأنس : قل لصاحبك : إن أخاك إلياس ينتظرك .. ثم كيف يسأل أنس الرسول أيضاً : أهو حي يا رسول الله ؟ مع أنه رآه رأى العين وأكل معه وشرب ، أما ما هو أدعى للدهشة وأكثر لاختلاق القصة ، أن جبل قبيس بمكة ، والمعروف أن أنس بن مالك من الأنصار وخدم رسول الله عشر سنين فى المدينة ..

إن شخصية الخضر المزعوم شخصية خرافية ، نسجت حولها الصوفية الهابطة كثيراً من الأساطير، لم يرد ذكر لها فى كتاب الله ولا فى سنة رسوله ، ولا على لسان أصحابه ، وحتى لو سلمنا جدلا فى أن الخضر هو صاحب موسى الذى أورد القرآن قصتهما معا فى آيات معدودة بالرغم من أن القرآن لم يهتم بذكر اسمه ، فهل هذا يحمل الصوفية على اعتبار شخصيته أسطورية ؟ يلتقى به حثالة المتصوفة جهاراً يتلقون منه العلم والتوجيه والإرشاد؟ وإذا كان للخضر مثل المقام المزعوم ، فلماذا لم يلتق مرة واحدة بأحد الصحابة أو التابعين أو تابعى التابعين ؟ ثم لماذا يعترض نبى مرسل مثل إلياس عليه السلام على الموت وهو يعلم أن الموت سنة من سنن الله التى لاتقبل التبديل ولا التحويل، ولم يعترض غيره من الأنبياء والمرسلين ؟

إن قول الله تعالى مخاطبا رسوله : ﴿ وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإنْ متَّ فهم الخالدون ﴾ قاطع بأنه لاخلود لبشر على الإطلاق - لكن الشيخ البرهانى يهرف بما لايعرف ، ويزعم أن قول الله تعالى عن إدريس عليه السلام : ﴿ ورفعنه مكانا عليا ﴾ دليل على أن الله سبحانه رفع إدريس حيا إليه ، وسيظل حيا إلى يوم القيامة ..

ولأى عاقل أن يتساءل :

ما قيمة وجود هذه الأسطورة التى أطلقوا عليه « الخضر » وأضفوا عليه الخلود ؟ إن الله تعالى أكمل لنا الدين ، والرسول - ﷺ - يقول : « العلماء ورثه الأنبياء » ولم يقل الخضر وإلياس والأقطاب والأبدال والأوتاد والنجباء

والرفقاء . .

إن الشيخ يجهل بالطبع أن العمدة عند أهلم العلم - وليس هو منهم - في مسائل أصول الدين وفروعه ، هو كتاب الله وسنة رسوله الصحيحة وإجماع أهل العلم من هذه الأمة ، أما أقوال الغلاة من المتصوفة فهي ساقطة من الحساب ، ولايقام لها وزن ، وللجهلة أن يتسلوا بها أو يتلهوا . .

لقد سئل الإمام ابن تيمية عن القطب الغوث الفرد الجامع ، والذى يكون - على حد تعبير المتصوفة - مدد الخلائق بواسطته ، في نصرهم ورزقهم ، فأجاب :

« هذا من جنس قول النصارى في المسيح والغالية في علي ، وهذا كفر صريح يستتاب صاحبه وإلا قتل ، فإنه ليس من المخلوقات ، لاملك ولابشر يكون إمداد الخلائق بواسطته . . هذا القول المزعوم كله باطل لاأصل له في كتاب الله ولاسنة رسوله . ولا قاله أحد من سلف الأمة ولاأئمتها ، ولا من الشيوخ الكبار المتقدمين الذين يصلحون للاقتداء بهم . . »

ويجيب شيخ الإسلام عن أسطورة الخضر :

« الصواب الذى عليه المحققون أنه ميت ، وأنه لم يدرك الإسلام »

ولو كان موجودا في زمن النبي لوجب عليه أن يؤمن به ويجاهد معه ، ولكان حضوره مع الصحابة للجهاد معهم ، وإعانتهم على الدين أولى له من حضوره عند قوم كفار ليرقع لهم سفينتهم ، ولم يكن عن خير أمه أخرجت للناس مختفيا ، وقد كان بين المشركين ولم يحتجب عنهم . ثم ليس للمسلمين به وبأمثاله حاجة لافي دينهم ولادنياهم ، فإن دينهم أخذوه عن الرسول . . وإذا كان الخضر حيا دائما ،فكيف لم يذكر النبي - صلوات الله وسلامه عليه - ذلك قط ؟ ولا أخبر به أمته ، ولا خلفاءه الراشدين ؟

وقول القائل : إن الخضر نقيب الأولياء . . فيقال : من ولاه النقابة ؟ وأفضل الأولياء أصحاب محمد - صلوات الله وسلامه عليه - وليس فيهم الخضر ، وعامة ما يحكى في هذا الباب من حكايات ، بعضها كذب وبعضها مبنى على ظن رجال ، مثل شخص رأى رجلا ظن أنه الخضر ، أو قال : إنه خضر ، كما أن الرافضة ترى شخصا تظن أنه الإمام المنتظر المعصوم أو تدعى ذلك ، وروى عن الإمام أحمد أنه قال - وقد ذكر له الخضر - من أحالك على غائب فما أنصفك . . وما ألقى هذا على ألسن الناس إلا شيطان »

الشيخ البرهاني - بالطبع - لايعى معنى الوقوف عند حدود الأسلوب القرآني ، فالقرآن مثلا أشار إلى قصة العبد الصالح الذى لقيه موسى ، دون

أن يذكر القرآن اسم هذا العبد أو زمان حدوث اللقاء ، وكلما ذكره عن المكان قال : مجمع للبحرين ، لكنه لم يحدد : أى مجمع للبحرين ، فهناك أكثر من مجمع للبحرين : بحر فارس فما يلى المشرق ، وبحر الروم ممايلى المغرب ،وهناك ثالث مجمع البحرين : بحر الروم وبحر القلزم ، وإن المفسرين - بلا سند إلا الإسرائيليات أتعبوا أنفسهم ، فى تحديد مالم يحدده القرآن ، وتعيين مالم يعينه ، مع أن هدف القرآن من الإيجاز هو التركيز على موضع العظة والعبرة من القصص .

كذلك قصة « إلياس» وردت فى القرآن فى سورة الصافات فى آيات معدودة ﴿ وإنَّ إلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * إذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ألا تَتَّقُونَ * أتَدْعُونَ بَعْلاً وتَذَرُونَ أحْسَنَ الْخَالِقِينَ * اللَّهَ رَبَّكُمْ ورَبَّ آبَائِكُمُ الأوَّلِينَ * فَكَذَّبُوهُ فَإنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ * إلاَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴾ الصافات من : ١٢٣ : ١٢٨

وقصة حياة إلياس « المزعومة » هى من رواية إسرائيلية عن وهب بن منبه الذى تزعم هو وكعب الأخبار إدخال الإسرائيليات إلى كتب التفسير من طريق غير مباشر ، ورواية وهب تحكى أن قوم إلياس كانوا يعبدون صنما يقال له « بعل » فدعاهم إلى الله ونهاهم عن عبادة ما سواه » وكان ملكهم قد آمن ثم ارتد ، واستمر القوم على ضلالهم ، ولم يؤمن بإلياس منهم أحد فدعا الله عليهم ، فحبس عنهم القطر ثلاث سنين ، ثم سألوه أن يكشف ذلك عنهم ، فدعا الله فجاءهم الغيث ، لكنهم استمروا على أخبث ما كانوا عليه من الكفر .. فسأل إلياس ربه أن يقبضه إليه ، فأمره أن يذهب إلى مكان كذا وكذا ، وليركب أية دابة ستأتى إليه دون أن يهابها ، فجاءته فرس من نار فركبها ، وألبسه الله تعالى النور ،وكساه الريش ، وكان يطير مع الملائكة ملكا إنسيا ، سماويا أرضيا ..

إذا كان المتصوفة يجهلون : أنه من الأصول المقررة ، أن الأمور العقائدية والغيبية لابد للإيمان بها من دليل قطعى الدلالة والورود ، من كتاب الله تعالى ، أو السنة المتواترة . أفلم يقرأوا مره واحدة قول الله تعالى : ﴿ وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد ، أفإن مت فهم الخالدون ﴾ ؟

هل هذه الآية فى نظر المتصوفة غير قاطعة بأن أحداً لم ولن يكتب له الخلود ، وبأن سنة الله فى الموت لاتقبل تحويلا ولاتبديلا ؟ ومادام كتاب الله وسنة رسوله الصحيحة لم ينصا على خلود الخضر وإلياس ، فهل نطرح هذين المصدرين الرئيسين فى الإسلام ، ونقبل فى رضى وطيب خاطر على هذيان الروافض والفرق الباطنية والمتصوفة الغلاة ؟

* * *

خرافة الاقطاب والأوتاد

خرافة من نسج خيال الهوس الصوفى ، وقد أفرد الشيخ البرهانى فصلا لهذا الهوس جعل عنوانه : « الخبر الدال على وجود القطب والأوتاد والنجباء والأبدال » والحق أن الشيخ مغرم بالسجع ثقيل الدم . كما هو مغرم بالإيهام ، إنه يتوهم ليوهم غيره بأن رواياته وقصصه لها مصادرها ، فالمهم أن تكون منقولة عن كتب ، وليس المهم قيمة هذه الكتب فى موازين النقد . كذلك يتوهم ليوهم غيره بأنه يستشهد بأحاديث نبوية ، وليس المهم وزن هذه الأحاديث في موازين العلماء من رجال الحديث ، وما أكثر إغفاله لمصادر خرافاته وأساطيره ، يكفى أن يقول : جاءت الأحاديث والآثار بكذا وكذا . .

يركز الشيخ فى هذا الفصل على تاريخ ابن عساكر ، وكتاب « الأولياء » لابن أبى الدنيا ، وكتاب « كرامات الأولياء » لأبى نعيم ، ويجهل هذا الشيخ البرهانى أن مثل هذه المصادر لاتقوم حجة على أمر غيبى يتصل بالعقيدة . لأن الإيمان بأمور غيبيه يحتاج إلى يقين . .

وخلاصه مايقول الشيخ تؤدى إلى الاختلاف فى عدد الأبدال ، فتارة هم أربعون رجلا بالشام كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلا ، وتارة ثانية هم ستون رجلا ، وتارة ثالثة ، هم أربعون رجلا ، وأربعون امراة ، وتارة رابعة هم ثلاثون . وخامسة هم سبعة ، وسادسة هم سبعون أربعون بالشام ، وثلاثون من سائر بلاد الله ، وجاء على لسان إلياس عليه السلام ، حين سأله أحدهم : هل فى الأرض اليوم من الأبدال أحد ؟ قال : نعم ، هم ستون رجلا . منهم خمسون بالشام فيما بين العريش إلى الفرات ، ومنهم ثلاثة بالمصيصة ، وواحد بأنطاكية ، وسائر العشرة فى سائر أمصار العرب ، وفى لفظ آخر أن سبعة فقط من الأبدال فى سائر أمصار العرب . .

وينقل الشيخ البرهانى عن بعض العارفين ـ مجهول بالطبع :

الصالحون كثير مخالطون للعوام ، لصلاح الناس فى دينهم ودنياهم ، والنجباء فى العدد أقل منهم ، وهم مخالطون للخواص ، والأبدال فى العدد أقل منهم نازلون فى الأمصار العظام ، ولايكون فى المصر منهم إلا الواحد بعد الراحل ، فطوبى لأهل بلدة كان فيها اثنان منهم . . والأوتاد : واحد بالشام وواحد فى المشرق ، وواحد فى المغرب ، والله سبحانه يدير القطب فى الآفاق الأربعة من أركان الدنيا كدوران الفلك فى أفق السماء . وقد سترت أحوال القطب ـ وهو الغوث ـ عن العامة والخاصة غيرة من الحق عليه . . ! ! غير أنه يرى عالما كجاهل ، أبله كفطين ، تاركا آخذا ، قريبا بعيداً ، سهلا عسيراً ، آمنا حذرا . . وكشف أحوال الأوتاد للخاصة ،

وكشف أحوال البدلاء للخاصة والعارفين ، وستر أحوال النجباء والنقباء عن العامة خاصة ، وكشف حال الصالحين للعموم والخصوص ، ليقضى الله أمراً كان مفعولا .. وعدد النجباء ثلثمائة ، والنقباء أربعون ، والبدلاء : قيل أربعون وقيل ثلاثون ، وقيل أربعة عشر ، وقيل سبعة - وهو الصحيح - والأوتاد أربعة . فإذا مات القطب ، جعل مكانه خيار الأربعة ، وإذا مات أحد الأربعة ، جعل مكانه خيار الأربعين ، وإذا مات أحد الأربعين جعل مكانه خيار الثلثمائة ، وإذا مات أحد الثلثمائة جعل مكانه خيار الصالحين ، وإذا أراد الله أن يقيم الساعة أماتهم أجمعين . بهم يدفع الله عن عباده البلاء ، ويترك قطر السماء .. !!

وعلى كل فقد أراحنا أبو يزيد البسطامى من هذا الهوس ، بهوس أبشع منه ، كما جاء فى كتاب الشيخ البرهانى : قيل لأبى يزيد البسطامى إنك من الأبدال السبعة الذين هم أوتاد الأرض فقال : أنا كل السبعة » .

ورحم الله الشاعر المتنبى :

ذو العقل يشقى فى النعيم بعقله   وأخو الجهالة فى الشقاوة ينعم

جاء فى فتاوى ابن تيمية :

« وأما الأسماء الدائرة على ألسنة كثير من النساك والعامة ، مثل الغوث الذى بمكة ، والأوتاد الأربعة ، والأقطاب السبعة ، والأبدال الأربعين ، والنجباء الثلثمائة ، فهى ليست موجودة فى كتاب الله تعالى ، ولاهى مأثورة عن النبى - ﷺ - لا بإسناد صحيح ولا ضعيف محتمل ، إلا لفظ «الأبدال » فقد روى فيهم حديث شامى منقطع الإسناد عن على كرم الله وجهه ، مرفوعا إلى النبى - ﷺ - أنه قال :

« إن فيهم - يعنى أهل الأبدال - أربعين رجلا . كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلا » ولا يوجد أيضاً فى كلام السلف »

لكن الشيخ البرهانى ينقل بلا وعى عن ابن عربى ، وحسبه أن ينقل عن ابن عربى لتكون حجته ساقطة واهية ..

لقد اختلق المتصوفة - الغلاة قصة - مثيرة للعجب والأسى المرير قالوا ، بل زعموا أن هناك أقطابا أربعة متصرفين فى الكون : الدسوقى والجيلانى ، والرفاعى والبدوى ، أحدهم يتصرف فى الأرزاق وآخر يتصرف فى الرياح ، وثالث فى العلل والأمراض ، ورابعهم فى الموت والحياة ، وهؤلاء يجتمعون كل ليلة جمعة مع السيدة زينب - رضى الله عنها - لعرض تصرفاتهم عليها وأخذ المشورة منها ولذلك لقبت بصاحبه الشورى ، فقل لى بربك : أهناك شرك مع الله أفظع من هذا الشرك ؟ من أين لهم هذا الهذيان والهوس؟

* * * * * *

إنه ليعز على نفسى أن أشغل وقتى بالرد على مثل هذا الكتاب الآثم الذى سماه جامعه فى جرأه ومغالطة : « تبرئة الذمة فى نصح الأمة » فكان العنوان الأليق به : « تأثيم الذمة فى تضليل الأمة » .

إنه كتاب حشاه جامعه بالترهات والأباطيل والخزعبلات ، والادعاءات والافتراءات على عقيدة الاسلام وشريعته ، وتطاول فيه تطاولا بذيئا على علماء السلف ، وتعصب فيه تعصبا مقيتا للغلاة من الباطنية وأشباههم ، وأصحاب المذاهب الهدامة التى أرهقت الإسلام والمسلمين ردحا من الزمن . ولاتزال رواسبها باقية ، وقودها السذج والبسطاء من المسلمين ، ودعاتها من المرتزقة والمحترفين من أدعياء العلم والمنتمين إلى الإسلام بواقع شهادات مواليدهم ، ومشجعوها من خصوم الإسلام الذين يجمعهم الثلاثى البغيض : اليهودية والصليبية ، والشيوعية.

ومصيبتنا الكبرى : أن الازهر ومن خلفه مجمع البحوث الإسلامية ، لا يقف موقفا سلبياً ـ فحسب ـ من هذه الفئة الضالة التى تعمل على تخريب عقيدة الإسلام ،بل إنه يبارك خطواتها بما ينشره مجمع البحوث الإسلاميةهذا من كتب صوفية مسفة ، بالإضافة إلى مؤلفات شيخ الأزهر نفسه ،وبما يقرأ فى الصحف أحياناً من أن شيخ الأزهر ووزير الدولة لشئون الأوقاف والأزهر ،قد افتتحا مولد فلان وفلان ..

ومصيبتنا الكبرى الأخرى ، أن وسائل الإعلام تعتبر مروجة لهذا السفه، فيسمح التليفزيون بعرض مسرحية « رابعة شهيده العشق الإلهى » ومسرحية « الحلاج الشهيد » ومسرحيات عن إبراهيم الدسوقى ، والسيد البدوى وغيرهما ، ومادة هذه المسرحيات ملفقة لأنها مأخوذة عن مراجع القوم أنفسهم ، ومعظمها ترهات وسفه وهذيان ..

إننا مضطرون إلى أن نلغى عقولنا إزاء ما يذاع عن سيرة أصحاب الأضرحة والمقامات فى التليفزيون ، فى المناسبات ، فمثلاً إبراهيم الدسوقى صام رمضان وهو طفل رضيع .. كيف كان ذلك ! لقد ذهب أهل القرية إلى علمائها يسألون عما إذا كان الغد أول رمضان أم آخر شعبان حتى يستعدوا ، فأجابهم أحدهم : انتظروا إلى الصباح ، يولد الليلةغلام سوف يكون قطب زمانه ، فاعرضوا عليه ثدى أمه فإن أقبل على الرضاع كان الغد آخر شعبان ولاصيام ، وإن امتنع عن الرضاعة كان الغد أول رمضان .

مثل هذا السفه يقال فى وسائل الإعلام ، وفى التليفزيون بالذات ، الذى

تشهد برامجه الملايين من المسلمين ، وكأنه لارقابة ولا مسئولية ..

إن الكتاب « تبرئة الذمة فى نصح الأمه » لجامعه الشيخ البرهانى الدسوقى الشاذلى ، إن دل على شئ فإنما يدل على ظاهرتين خطيرتين : إحداهما : الاطمئنان إلى أن الجهل بخير وعافية فى ديار المسلمين ، والدليل على ذلك .. أن الكتاب قد انتشر ونفد فى أيام ، وليس - فحسب - لأن للشيخ أتباعا منتشرين هم الذين اشتروا الكتاب وروجوا له ، وأذاعوه بين العامة ، ولكن أيضاً ، لأن لدينا فراغا ثقافيا يحس به القارئ ، ولذلك نراه يقبل على الكتب ما هبّ ودبّ منها .. والاطمئنان إلى أن الجهل لايزال بخير فى ديار المسلمين ، هو الذى جعل مثل الشيخ البرهانى يجمع فى كتابه الآثم من الترهات والأباطيل والمفتريات التى تشوه سمعة الإسلام ، وصفحته المشرقة ، ويتحدى فى جرأة عقيدة الإسلام الصحيحة التى رضيها الله لعباده ، ويتطاول فى جرأة أكثر على علماء السلف من المسلمين ، ويسفه آراهم .

والأخرى : أن أتباع الطريقة البرهانية الدسوقية الشاذلية ، ليسوا جميعاً من الجهلة والسذج والبسطاء ، بل منهم مثقفون بحكم المؤهلات التى يحملونها ، ومنها مؤهلات جامعية ، وقد ثبت أن المؤهلات ليست دليلا على ثقافة حامليها . فأكثر أنصار الطريقة البرهانية فى مصر اثنان بارزان ، أحدهما يحمل ليسانس حقوق ، والآخر يحمل مؤهلاً جامعيا ، ولقد كتب الأخير فى مجلة محلية يقول : إن سيدى إبراهيم الدسوقى صاحب دولة لو أراد أن يخرج اليهود من سيناء لأخرجهم ، وعندما كان الأخير رئيساً لمدينة طنطا ، كان يبدأ نشاطه فى الصباح فى جلباب أبيض ومع بعض رفاقه ، بالسير ليسجدوا على عتبة ضريح السيد البدوى .. هكذا سمعت سمعت ، وأنا فى زيارة لصديق بمدينة طنطا .

وعندما كان نفس الشخص سكرتيراً لمحافظة الدقهلية ، خصص أكبر قدر من ميزانية الإصلاح فى المحافظة لإقامة ساحة لضريح يدعى صاحبه « الشيخ حسنين » بمدينة المنصورة ؛ وكان أن أعاد بناء المسجد ولم يكن فى حاجة إلى ذلك ، كما هدم معظم المنازل المجاورة لتوسيع الساحة ، بل ما هو أدهى وأمَر ، لقد هدم مدرسة يتيمة لتحفيظ القرآن لتوسيع القبر ، وإقامة مقام ذى قباب عالية تتناسب والمقام - كما يقول أخى الشيخ سعيد الشرباصى فى رسالته » أيهما أحق : الالتزام بنصوص الشريعة أم متابعة النزعات الفردية !».بل ماذا يقول الإنسان إذا كان حامل أضخم عمامة فى الأهر من المتيمين بالشيخ محمد عثمان عبده البرهانى الدسوقى الشالى، ولقد

سمعت قصة نقلها عالم أزهرى ورع ومن الداعين إلى العمل بالكتاب والسنة، قصة لا يسع الإنسان أمامها إلا الصمت الرهيب، كان الشيخ البرهانى فى زيارة أسرة متدينة، هى أسرة الممثل الراحل حسين صدقى وكان مما قاله : إن الذى حكم على سيد قطب بالإعدام ليست المحكمة العسكرية، بل محكمة سيدى إبراهيم الدسوقى، وهمس أحد أفراد الأسرة إلى حامل العمامة الضخمة وكان فى رفقة الشيخ البرهانى، فى تساؤل عن رأيه فيما يهذى به الشيخ، وكان رده : هذا الشيخ عالم وحده، لا يجوز الاعتراض على ما يقوله.

وبعد ... فإن كتاب الشيخ البرهانى دعوة إلى مذهب المعطلة، وحسب أى ساذج يقرأ فى هذا الكتاب أن النار محرمة على أتباع طريقة الدسوقى، بل على زوار ضريحه. فلا يرى داعياً لأداء الفرائض ..

ومثل هذا الكتاب الزائغ يريح كثيراً من المبشرين والمستشرقين الحاقدين على الإسلام عقيدة وشريعة ونظاماً، فلا داعى لأن يبذلوا جهداً للكيد للإسلام والنيل منه. حسبهم أن يترجموا هذا الكتاب ليثبتوا لأوربا وعالم الغرب والشرق أن الإسلام مجرد خرافات وترهات وأباطيل، وأن دولته أسطورة يهيمن عليها الأقطاب والأوتاد ؛ والأبدال والنجباء ..!

إن الشيخ البرهانى بكتابه هذا يعتبر مؤلفاً لدين جديد ينتمى إلى الإسلام زوراً وبهتاناً، بينما هو لا يمت إلى الإسلام بأدنى صلة .. إلى الإسلام الحق الذى رضيه الله لعباده ديناً ..

والشيخ البرهانى أخيراً وليس آخراً ليس - فحسب - صاحب طريقة ضالة مضلة، بل هو أيضاً ثرى ثراء فاحشاً، وقد كان إلى عهد قريب فى السودان سلطاناً غير متوج .. وحسبنا الله وحده !!

لا عجب أن يسيطر هذا الأفّاق على عقليات من حملة شهادة الأمية الدينية، ولكن العجب كل العجب أن يسيطر على عقليات من حملة المؤهلات العليا، ومعذرة إذا قلت : إن شيخاً أزهرياً من حملة الدكتوراه، تربع يوماً على كرسى المشيخة، عندما يزور هذا الأفّاق القاهرة يكون فى مقدمة مستقبليه، مع رعاع الناس من الدراويش.

وقد ترددت كثيراً قبل أن أسجل هذه القصة التى تدل على مأساة تجل عن الوصف، ولولا أنى سمعتها من موثوق به لما سجلتها هنا.

عندما زار الشيخ الأفّاق مسكن الممثل الراحل حسين صدقى، كان فى

صحبة الإمام الذى سبقت الإشارة إليه .. جلس الأفاق على الأريكة أما الإمام فقد جلس على بساط على الأرض، حاولوا - عبثاً - إقناعه بالجلوس إلى جوار الشيخ، فقال : هذا هو مكانى !

قال الشيخ الأفاق :

إن الذى حكم بالإعدام على سيد قطب ليست محكمة الدجوى العسكرية بل محكمة سيدى إبراهيم الدسوقى .. فأبدت السيدة الجليلة حرم حسين صدقى دهشتها ، وقالت للإمام : أهذا معقول يا فضيلة الإمام ؟

فأجاب : إذا تكلم الشيخ، فلا كلام لنا معه.

ورحم الله الشاعر أبا العلاء المعرى :

ولما رأيت الجهل فى الناس فاشيا - تَجَّهلتُ حتى ظنَّ أنَنىَ جاهل

هل يمكن لعقل - مهما ضؤل أن يقبل مثل هذا الهذيان والسفه من شيخ أفاق لم ينل من العلم شيئاً يذكر ؟ وهل يليق بعالم أزهرى حصل على لقب « الإمام الأكبر » أن يكون فى معَية أفاق ، ويستمع إليه ، دون تعقيب على كلامه ولو كان هذيانا وسفها ..

إذا كانت الطرق الصوفية وصمه عار فى جبين لإسلام الذى رضيه الله لعباده ديناً ، لأن التصوف دخيل لايمت إليه بصلة فإن انخراط بعض مشايخ الأزهر فى صفوف هذه الطرق ، يعتبر مأساه - وأية ماسأة ! إن وجود مثل هؤلاء المشايخ يؤدى إلى إقناع البسطاء - وربما أنصاف المثقفين - بالانضمام إليها ..

إن شيخاً تخرج فى كلية الشريعة بالأزهر ، يعمل بالتجارة ، فى يوم عطلته - يوم الأحد - من كل أسبوع يستقل سيارته ويشد الرحال إلى طنطا ، يقضى نهاره فى رحاب السيد البدوى برغم أنه درس فى الأزهر الحديث الصحيح المشهور « لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد .... الحديث

وقد يكون لهذا الشيخ العادى عذره - وإن كان عذراً أقبح من الذنب - إذا قرأ فى كتاب عن السيد البدوى ومؤلفه شيخ الأزهر قال :

عندما عزمت على تأليف كتاب عن السيد البدوى ، ذهبت إلى طنطا ، وجلست فى رحاب الضريح أستاذن السيد البدوى فى تأليف كتاب عنه ، فلما أذن لى ، بدأت فى كتاب المقدمه !

أليس من حقنا أن نلغى عقولنا ؟؟

ومنذ سنوات دعيت إلى لقاء - أثناء الأحتفال بمولد السيدة زينب - رضى الله عنها - مع شيخ من مشايخ الطرق الصوفية فى محافظة الغربية ، كتب على بطاقته : رغم استغراقه فى الأمية : « العارف بالله الشيخ ... » اكتفيت بإلقاء السلام عليه ثم جلست - حتى لا أكلف نفسى مشقة الانحناء إليه - فضلاً عن تقبيل يده ، كما يفعل غيرى ، مما أثار دهشة أتباعه.

سألنى الشيخ : مارأيك فى مولد السيدة زينب هذا العام ؟

قلت : بل أود أن أسأل الشيخ أن يدلنى على حسنة واحدة لهذا المولد أو غيره من الموالد .

كان يجلس تحت قدمى الشيخ على الأرض شيخ أزهرى يعمل مفتشاً للمساجد بوزارة الأوقاف كان ضعيف البصر .. فقال : هذا الصوت ليس غريباً على .ولما عرفته بنفسى قال : أظن أننا التقينا معا من قبل ؟ قلت : أجل .

ودخلنا فى حوار بشأن الشريعة والحقيقة ، ولما حاول شيخ الطريقة التدخل فى الحوار قلت له : إننى أناقش عالماً أزهرياً ، وعليك أن تسمع وحسب .

وكانت المفاجأة ، التى كدت أصعق لها .

قال لى الشيخ الأزهرى :

اسمع يا أستاذ ... صحيح أن الشيخ - يعنى شيخ الطريقة - لم يدخل كُتَاباً فى حياته ، ولكنى أعترف أننى تعلمت الحقيقة على يديه ».

قلت : انتهى الحوار معك يافضيلة الشيخ ، وحسبى ما سمعته منك الآن !!

* * *

* روى مسلم فى صحيحه عن أبى موسى الأشعرى - رضى الله عنه - عن النبى - ﷺ - قال : « إنَ مثَلَ ما بعثنى الله - عز وجل - من الهدى والعلم ، كمثل غيْث أصاب أرضا ، فكانت منها طائفة طيبة ، قد قبلت الماء ، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكان منها أجادب ، أمسكت الماء ، فنفع الله بها الناس ، فشربوا منها وسقوا ورعوا ، وأصاب طائفة منها أخرى ، إنما هى قيعانٌ لاتمسك ماء ولاتنبت كلأ ، فذلك مثل من فَقهَ فى دين الله ، ونفعه الله بما بعثنى الله به ، فعلم وعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ، ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به »

الجنادب : الأرض تمسك الماء ولاتنبت الكلأ

قيعان : جمع قاع : أرض ملساء لاتمسك الماء ،والكلأ : العشب

ولا جدال فى أن الفئة الأخيرة ، التى لم تقبل هدى الله هم المتصوفة .

ولاداعى لليأس ، وبرغم أن كل ميسراته قائمة ، فعقول أتباع التصوف الدخيل على الإسلام قد تحجرت ، وإنها لاتعمى الأبصار ، ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور - وبخاصة أن كل تنبؤات الرسول - ﷺ - ما تقدم منها وماتأخر ، نبوءات صادقة ولاجدال فى ذلك :

* فى صحيح مسلم عن عبدالله بن عمرو - رضى الله عنهما - قال :

« سمعت رسول الله - ﷺ يقول : « إن الله لايقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس ... ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يترك عالما ، اتخذ الناس رؤساء جهالاً .. فسئلوا فأفتوا بغير علم .. فضلوا وأضلوا »

* وفى صحيح مسلم عن جابر - رضى الله عنه - قال قال رسول الله - ﷺ - « مثلى ومثلكم ، كمثل رجل أوقد نارا .. فجعل الجنادب والفراش يقعن فيها وهو يذبهن عنها .. وأنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تفلتون من يدى »

الجنادب : نوع من الجراد ، يذبهن : يدفعهن ، حجزكم : معقد الإزار والسراويل

* وماذا بعد هذا ؟

إذا كان الجهل وصمة عار ، فإن الإصرار على الجهل مأساة !

وإذا كان الجاهل لايعذر بجهله ، لأن المفروض فى كل مسلم أن يعرف من دينه ، مالابد منه ، فإن العالم الذى لايقبل هدى الله ، من باب أولى لايقبل عذره . بل هو معاقب على ذلك ، أما المأساة التى لانظير لها ، فهى أن يصر عالم الدين على الانضمام إلى جيش الجهلة من أتباع الطرق الصوفية أو شيوخها ..

إنها لفتنة وقانا الله شرها !

* ومزيدا من المرارة :

كتب الأستاذ محمد على زين العابدين جودة مدرس لغة فرنسية فى جريدة الجمعة بالأخبار فى ٢٢ / ٥ / ٩٩٨ تحت عنوان : « هجوم آخر على الإسلام » قرأه فى مجلة فرنسية تصدر بالقاهرة تدعى « الصلة » حيث عرض المهاجم لعادة إسلامية على حد فهمه - مؤداها : أنه عند مواجهة خصم عنيد وقوى ، يقوم المظلوم بكنس مقام أحد الأولياء وهو يدعو عليه .

لكن الكاتب المعادى بلغ حداً كبيراً من الوقاحة حين ضمن هجومه صورة كاريكاتيرية : مقشة - مكنسة - بداخل إطار قرآنى ، ليوحى بأن القرآن رمز للجهلاء ..

ولكن ـ لكى نكون منصفين ، شجعانا أمام أنفسنا يجب أن نسأل :

ألسنا نحن أحق باللوم ، لأننا أعطينا الفرصة لخصومنا لكى يشوهوا صورة الإسلام ، إذن فبأيدينا ـ لا بيد زيد أو عمرو ـ نسيئ إلى ديننا ؟

والعادة التى أشير إليها ، ليست فريدة من نوعها ، فهناك العديد من أمثالها ، دون أن نخطو خطوة واحدة نحو مجرد التفكير فى إزالتها .

لا تزال شكاوى المظلومين المكتوبة تتدفق على ضريح الإمام الشافعى .

وهناك أضرحة تخصص أصحابها فى علاج شتى الأمراض وبخاصة الأمراض المزمنة .

لقد أصبحت هذه الأضرحة مصادر ارتزاق ، وهناك مافيا لترويج الأساطير لإقناع السذج ، لكى يدفعوا بسخاء !

أين الأزهر بكل مؤسساته ، ومنها جماعة الوعظ والإرشاد ؟

أين وزارة الأوقاف بدعاتها وأئمتها وخطبائها ، وما يسمى بإدارة الدعوة؟

ولا تسأل عن خطباء المساجد ذوات الأضرحة ، لأن كثيرا منهم يسهمون فى تأييد الخرافات والترويج لها ، ليضاعف إيراد صناديق النذور ولهم نصيب من هذا الإيراد !

إنها فتنة لا تجد من يتصدى لها كما تصدى عمر بن الخطاب ـ رض الله عنه ـ للفتنة فى مهدها ، حيث قام بقطع الشجرة التى تمت البيعة فيها لرسول الله ، بعد أن رأى البعض يسعى إليها للتبرك بها .

وأخيراً وليس آخراً :

ولك أن تضحك أو تحزن معى :

فى الحادى والثلاثين من مايو الماضى ـ وبعد أن انتهيت من إعداد الطبعة الثانية من الكتاب ، طالعتنا جريدة الأخبار القاهرية ببيان صادر عن وزير الأوقاف الدكتور محمود حمدى زقزوق ، مثير للإغراء ابتداء وللعجب انتهاء : العناوين .

* إجراءات صارمة للقضاء على فوضى صناديق النذور .
* إلغاء منصبى الخليفة وحامل المفتاح ، وتخفيض نسب المستحقين .
* الحصيلة لإصلاح المساجد وإنشاء المكتبات الدينية .

إن قرار إلغاء منصبى الخليفة وحامل المفتاح سيبدأ تنفيذه بعد وفاة شاغلى هذين المنصبين .

أليس هذا مثيرا للدهشة ؟ لماذا التأجيل ما دام سيادة الوزير مقتنعا بالإلغاء ؟ وهل عمل الخليفة أو حامل المفتاح يعتبر منصبا فى عرف الدولة ؟ وهل ما يحصل عليه هؤلاء يعتبر حقاً لهم ؟

فى التحقيق الصحفى الذى كتبه المحرر الأستاذ هشام العجمى : أن ما كان يحصل عليه الخليفة أو حامل المفتاح قبل صدور القرار يزيد على مائتى ألف جنيه سنويا لكل منهما ، إلا أن القرار الجديد جدد حصة العاملين بكل مسجد نذور بما لا يجاوز ١٠٪ من الحصيلة ، وبحد أقصى لما يحصل عليه المستحق ، حتى لو كان مجموع ما يحصل عليه العامل أقل من نسبة الـ ١٠٪ كما حدد القرار نسبة ما يحصل عليه الخليفة - والتى كانت تصرف بدون حد أقصى بما لا يجاوز ٣٪ ومثلها لحامل مفتاح مقصورة الضريح ، وبما لا يجاوز عشرين ألف جنيه للخليفة ، وعشرة آلاف جنيه سنويا لحامل المفتاح !! إلى جانب ١٠٪ من الحصيلة لمشيخة الطرق الصوفية .

أليس مثيرا للضحك : حامل المفتاح وهو أمى لا شك يحصل عى إيراد سنوى يحلم به مدير جامعة من الجامعات ؟ نسيت أن أذكر أن ما يحصل عليه أى من العاملين فى مساجد النذور غير خاضع للضريبة .

ثم لماذا تحصل مشيخة الطرق الصوفية على ١٠٪ من حصيلة النذور بدون حد أقصى ، وهى تزعم أن أتباعها فى مصر يزيدون على أربعة ملايين من القطيع البشرى ، ولو فرضنا أن كل فرد يدفع اشتراكا شهريا متواضعا خمسة وعشرين قرشا ، لحصلت المشيخة على مليونا من الجنيهات شهريا أو اثنى عشر مليونا فى السنة .

الواقع أننى خرجت من التحقيق الصحفى أن الأمية الدينية ما تزال بخير فى مصر التى أطلقت أخيراً قمراً صناعيا إعلامياً فى الحادى والثلاثين من مايو الماضى ، وبرغم أن إيراد صناديق النذور مشبوها لأنها نذور لغير الله ، والنذر عبادة ، والعبادة لله وحده ، إلا أن وزارة الأوقاف لا تعترف بذلك ، ولا نملك إلا أن نقول مع القائل :

يا أمة ضحكت من جهلها الأمم !! .

وهذا رأى جدير بكل تقدير ، وصاحبه أستاذ سابق للفلسفة بجامعتى الفاتح وأم القرى ، إنه الدكتور محمود السعيد الكردى ، أبداه فى الأخبار (٢/٦/١٩٩٨) تحت عنوان : صناديق النذور .. صناعة يهودية .

قال الكاتب فى البداية :

« عفوا .. إن الأمر يتعلق بمستقبل دين وعقيدة شعب ، وآمال أمة .. لذلك ، فإنه علينا - في مصر حاضنة الوحدانية منذ أيام ما قبل التاريخ - أن نعيد حساباتنا الفقهية كلما دعت الضرورة ، أو مضت بنا الأيام نحو عصر السموات المفتوحة لنقدم للعالمين الشريعة الإسلامية كما نزلت على الرسول الأمين - ﷺ - بيضاء من غير سوء » .

يقول الكاتب : « إن النذر المشروط صناعة يهودية ، وقد ساق إلينا نصين من التوراة أحدهما نذر يعقوب ، والآخر نذر يفتاح الجلعادى ، ويؤكد ذلك بقوله : إن النذر المشروط صناعة يهودية تسللت من الفقه اليهودى إلى الفقه فى الإسلام » .

ونقول : « إن كلام الكاتب فى حاجة إلى تعقيب ، صحيح أن النذر عبادة والعبادة لا تكون مشروطة ، كما جاء على لسان امرأة عمران : ﴿ إذ قالت امرأة عمران رب إنى نذرت لك ما فى بطنى محررا فتقبل منى إنك أنت السميع العليم ﴾ إلا أن النذر المشروط لم يتسلل إلى الفقه الإسلامى من الفقه اليهودى ، ففى صحيح مسلم عن عمران بن حصين : أن أمرأة من الأنصار - أسرت ، واستطاعت أن تفلت من أسرها على العضباء (ناقة) وهى فى طريقها إلى المدينة نذرت لله عز وجل - إن نجاها عليها لتنحرنها - أى لتذبحنها - فلما قدمت المدينة .. رآها الناس . فقالوا : العضباء - ناقة رسول الله - ﷺ - فقالت أى المرأة : « إنها نذرت - إن نجاها الله عليها لتنحرنها ، فأتوا رسول الله - ﷺ - فذكروا ذلك له ، فقال : سبحان الله .. بئس ما جزتها .. نذرت لله إن نجاها الله عليها لتنحرنها .. لا وفاء لنذر فى معصية ، ولا فيما لا يملك العبد » .

فها أنت ذا ترى أن الرسول لم ينكر النذر الشروط ، ولكنه أنكر الشرط : لا وفاء لنذر فى معصية ، ولا فيما لا يملك العبد » .

ويضيف الكاتب :

إن صندوق النذور بدعة يهودية ، ومصيدة لغنائم الشيطان ، وضعها اليهود فى هيكل سليمان ؛ ليتحول بيت العبادة إلى مغارة لصوص .

ونحن مع الكاتب ، لقد تحولت صناديق النذور فى بيوت الله إلى مغارة لصوص .. وبعض المشايخ يعلمون أن إيراد هذه الصناديق سحت لأنها حصيلة نذور للأضرحة وليست لله ، ولكنهم يقولون - وهم يملأون جيوبهم، ويتخمون بطونهم : « ولو » .

الفهرست

كتب للمؤلف

• أولو العزم من الرسل .

• الإسلام والأمن الدولى .

• أين نحن من الإسلام ؟

• محنة الأقليات المسلمة فى العالم .

• عفوا يا فضيلة الإمام الأكبر .

• المؤامرة على الاسلام فى الجزائر .

• الذين طغوا فى البلاد .

• كلمات القرآن العظيم زاد المسافر والمقيم .

• الشيخ كشك .

قيثارة الدعوة إلى الله .

• الإسلام : الجدار المائل .

وليمة حيدر حيدر .

وقريبا - إن شاء الله تعالى :

• الأمة المسلمة تحت الصفر - جزءان .